مجلة الخليج للتاريخ والآثار

دورية محكمة تصدر عن جمعية التاريخ والآثار بدول مجلس التعاون لدول الخليج العربية
العدد الرابع عشر ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م

مجلة الخليج للتاريخ والآثار
العدد الرابع عشر ١٤٤٠هـ/ ٢٠١٩م



Al-Khalij Journal for History and Archaeology

14th Issue 1440 H / 2019 G

ردمد : ٢٣١٤ - ١٦٥٨

إسهامات طائفة الخوجة
في التجارة الدولية في زمن الملاحة

د. صاحب عالم الأعظمي الندوي(*)

* ملخص البحث :

لقد أسهمت منطقة الخليج العربي لاسيما عمان وأراضيها الممتدة إلى زنجبار في التجارة الدولية في زمن الملاحة إسهامًا كبيرًا. وشجعت الشعوب الآسيوية لاسيما الهنود القاطنين في المناطق الغربية الهندية على المشاركة في التجارة الدولية. وساعدت العلاقات التاريخية والحضارية الوطيدة بين عمان وشبه القارة الهندية منذ القرون الماضية على هذه المشاركات في التجارية الدولية.

وقامت الطوائف الدينية الهندية المختلفة بدور ريادي في التجارة الدولية ومنها على سبيل المثال البنيان الهندوس، والخوجة، والبهرة، والميمن وغيرها. وتمكنت هذه الطوائف بنجاح من إيجاد شبكة تجارية قوية بين المناطق الكجراتية الساحلية وبين مسقط وزنجبار وغيرها من مناطق دول شرق إفريقيا، وبالتالي حصلت على مكانة رئيسة بين المجتمعات التجارية في هذه المناطق الساحلية التجارية.

والهدف من هذه الدراسة هو إلقاء الضوء على النشاطات التجارية لطائفة الخوجا بين الشعوب الهندية الأخرى في الهند وعمان وزنجبار والمناطق الأفريقية الشرقية الأخرى. وقُسمت الدراسة إلى عدد من المحاور، حيث إن المحور الأول يبحث الجذور التاريخية لهذه الطائفة الدينية في شبه القارة الهندية. أما المحور الثاني فيتحدث عن المراحل التاريخية التي مرت بها خلال العصور الإسلامية،

لاسيما مراحل تحولهم إلى الإسلام. ويلقي المحور الثالث الضوء على الخلافات الدينية في داخل جماعة الخوجا، مع التركيز على الأسباب التي أدت إلى هذه الانقسامات وظهور عدد من الجماعة مثل البوهرة، والميمن وغيرهما. ويتعرض المحور الرابع للعوامل التي أسهمت في تكوين الحياة الاجتماعية الخاصة بهم في داخل الهند وخارجها مع بيان أحوالهم الاجتماعية والأسرية وعلاقتهم مع الطوائف الاجتماعية الأخرى في الهند، وعمان، وزنجبار وغيرها. أما المحور الرابع فيتناول عملية استقرارهم في منطقة مسقط وزنجبار، مع التركيز الخاص على ارتقائهم التدرجي في هذه المناطق وكيفية تحولاتهم المصيرية إلى مجتمع تجاري منظم. ويتحدث المحوران الخامس والسادس عن نشاطاتهم التجارية والخيرية في الهند وعمان وزنجبار، مشيرًا إلى مساعيهم المهنية ونشاطاتهم التجارية في التجارة الدولية، مع الإشارة إلى كيفية الحصول على المكانة المناسبة في المجتمعات الساحلية في عمان ودول شرق إفريقيا.

الكلمات المفتاحية : (التجارة الدولية، زمن الملاحة، العلاقات الدولية، المجتمعات الساحلية، طائفة الخوجة).

The Contribution of Khojas in the International trade during the age of sail

⁕ Abstract :

The GCC states especially Oman and its other territories in Zanzibar played a significant contribution to the international trade during the age of sail. Its trade activities encouraged other Asian people especially Indians living in the North Western Frontier of India to participate in the international trade. The close historical and cultural ties throughout the previous centuries helped them play a mutual role in the international trade activities.

Among the local Indian trading people, the Hindu Bania, the Khojas, the Bohras and the Memons successfully established a thriving trade network between the littorals of Gujarat, Muscat and Zanzibar and secured a prime position among the mercantile communities of this place.

The research aims to study the steady evolution of the Khoja community with emphasis on their distinct identities, disciplined collective life and trading activities and settlements overseas especially in India, Oman and Zanzibar. The historical perspective of the study is based on an attempt to view a coherent picture of their evolution ever since their conversion to Islam.

The research paper is divided into a number of themes, which aim to study their origin as well as the sectarian and institutional developments with a focus on the causes leading to the divisions and the emergence of a number of the group such as; the Bohras and the Memons…etc. Also, it deals with the factors helping them format their own social life in India and to other places of settlement overseas with a statement of their social and family conditions and their relationship with other communities in India, Oman and Zanzibar…etc. It assesses the process of their gradual settlements in Muscat and Zanzibar with a particular stress on their gradual progress into a well-structured and disciplined trading community reviewing its comprehensive role in the field of commercial and philanthropic endeavors in India, Oman and Zanzibar. The study essentially focuses on how the Khoja community succeeded in creating their significant niche in the littoral societies of Oman and East Africa and examines the process of formation of the Khoja identity overseas.

Keywords : International Trade, Age of Sail, International Relations, Littoral Societies, Khoja Community.

- **توطئة :**

إنه من المعلوم تاريخيًّا أن التجار والبحّارة من المناطق الكجراتية انطلقوا إلى خارج الهند عبر البحار؛ لتحقيق أهدافهم التجارية والاقتصادية وذلك في عصر الملاحة. وعلى الرغم من أن هذه الرحلات البحرية كانت محفوفة بالمخاطر ومحاطة بالمغامرات الخطرة إلا أنها كانت وسيلة فعالة لتنقل الناس من منطقة إلى منطقة ومن بلد إلى بلد آخر بغرض تجاري واقتصادي، ما أدى إلى ازدهار النشاطات التجارية ونقل السلع التجارية على متون السفن التجارية، وهذه النشاطات التجارية ساعدت بطبيعة الحال على تحسين أحوال الناس الاقتصادية في جميع أنحاء المناطق الساحلية المسهمة في الملاحة والتجارة آنذاك[1].

وتعتبر منطقة الكجرات المطلة على بحر العرب من أهم هذه المدن التجارية ذات الموانئ الكثيرة والمهمة، والتي قامت بدور مهم في تنشيط عملية التجارة في البلدان الشرقية والغربية على السواء، وساعدت الناس على تحسين مستويات معيشتهم ونوعية حياتهم. وهذا الأمر حدد دور البحر والملاحة وأهميتهما في حياة الكجراتيين، وبالتالي أصبح البحر والنشاطات البحرية وسيلة مهمة بالنسبة لهم ولغيرهم للتعرف إلى بعضهم بعضًا إلى جانب المعرفة عن الأفكار والمعتقدات الدينية والثقافية الجديدة عبر الشواطئ والمواني الواقعة في الكجرات، والتي قدمت فرصًا وبأمان لقيام الناس بنشاطاتهم التجارية ونقل بضاعتهم من وإلى الكجرات، وهذه النشاطات دفعتهم إلى الاستجابة للتغيرات والاختلافات في الأفكار والمعتقدات والعادات والتقاليد إلى جانب قيامهم بربط اقتصاد الكجرات الإقليمي بالمدن التجارية العالمية الأخرى[2].

وكانت هناك طوائف محلية عديدة في المناطق الساحلية الهندية التي أسهمت في النشاطات التجارية آنذاك ومنها طائفة الخوجة التي تمكنت بنجاح من إيجاد

شبكة تجارية مزدهرة بين المناطق الكجراتية الساحلية وبين مسقط وزنجبار وغيرهما من مناطق دول شرق إفريقيا، وحصلت على مكانة رئيسة بين المجتمعات التجارية في هذه المناطق الساحلية التجارية. والهدف من هذه الدراسة هو رسم التطورات المستمرة التي مرت بها هذه الطائفة مع التركيز على توضيح هويتها المتميزة وطرق تنظيم حياتها الاجتماعية المنضبطة ونشاطاتها التجارية ومستوطناتها في خارج الهند؛ وذلك لتحديد دورها وإسهاماتها في تاريخ الكجرات التجاري والاقتصادي وفي النشاطات البحرية التجارية[٣].

ويجدر بالذكر أن المنظور التاريخي لهذه الدراسة مبني على محاولة عرض صورة متكاملة للتطورات، والمسيرة التي تواصلها هذه الطائفة حتى وقبل دخولها إلى الإسلام. وعلى الرغم من أن التفاصيل عن تاريخها الديني والاجتماعي مذكورة في كتب المتخصصين مثل الباحث فرهاد دفتري، والباحث عظيم نانجي، والباحث حاتم أميجي، والمهندس والباحث أصغر علي، والباحث جيمس أونلي (James Onley)، والباحثة الهندية جهايا كوسوامي (Chhaya Goswami) والآخرين[٤]. أما هدفي في هذا البحث المتواضع فهو القيام بنسج النظريات الكثيرة والمختلفة حول أصلها وتاريخ تكوين طائفتها المؤسسية، وذلك لتقديم تاريخها الموجز مع التركيز الخاص على توضيح إسهاماتها في إقامة الروابط والعلاقات التجارية البحرية بين الكجرات والجزيرة العربية ودول شرق إفريقيا.

وسنأخذ القراء معنا لرحلة عبر تاريخها الماضي وأصلها ومرحلة اعتناقها الإسلام، مرورًا بالأماكن البحرية التي استقرت فيها لاسيما منطقة مسقط وزنجبار، وارتقائها التدرجي في هذه المناطق وكيفية تحولاتها المصيرية نحو مجتمع منظم ناجح. وسيحاول البحث توثيق كل هذه المراحل التي مرت بها هذه الطائفة التجارية؛ وذلك لمراجعة دورها في مساعيها المهنية ونشاطاتها التجارية وإسهاماتها

في الأعمال الخيرية. وستحدد هذه الدراسة مسارها لدراسة كيفية قيام الخوجة بالحصول على المكانة المناسبة في المجتمعات الساحلية في عمان ودول شرق إفريقيا، وستبحث أيضًا عن عملية تشكيل هويتها في خارج الهند عبر العصور.

■ الخلفية التاريخية:

إنه من الضروري الإشارة إلى الصراع الديني والفكري الذي حدث منذ بداية التاريخ الإسلامي، لاسيما بعد وقت قصير من وفاة النبي ﷺ عام ١١هـ/٦٣٢م والتي أوجدت وضعية خاصة ذات ملامح متفردة ومصيرية، وقد أدت بعض الأحداث الكبيرة إلى الصدوع في الفكر الإسلامي بعد حدوث عدة تحولات خطيرة في أعقاب هذه الأحداث التاريخية. وفي نهاية المطاف تسببت هذه التحولات في إيجاد الانقسامات بين كثير من المسلمين حول مسألة قيادة المسلمين بعد وفاة النبي ﷺ وقضية اختيار خليفة للنبي ﷺ. وإن ما جرى في نهاية المطاف كان قيام الغالبية من المسلمين بمبايعة سيدنا أبي بكر رضي الله عنه خليفة للنبي ﷺ، على حين أيدت الأقلية منهم المطالبات بأحقية الإمام علي رضي الله عنه خليفة للنبي على أساس أنه كان ابن عمه، والذي بدأ يُطلَق عليهم «الشيعة» منذ ذلك الوقت. وقد تطور المذهب الشيعي وأخذت ملامحه الأصولية والفكرية تتبلور من خلال تطور الطقوس الدينية والعقائد الخاصة به، لاسيما فيما يتعلق بقضية الإمامة. وفي القرون اللاحقة قامت العقيدة الإمامية بتمهيد الطريق لمزيد من الانقسامات ما أدى إلى ظهور المزيد من الطوائف الشيعية الجديدة. وقد اختلف المنشقون بصورة رئيسة حول قضية الخلافة والإمامة[٥]. وبعد وفاة جعفر الصادق سنة ١٤٨هـ/٧٦٥م حصل انشقاق بين الشيعة حول الخلافة، فساق فريق متشدد الإمامة إلى إسماعيل بن جعفر الصادق، وقاموا بتأسيس طائفة جديدة سموها «الإسماعيلية» واختاروا إسماعيل إمامًا لهم مع التأكيد على أن الإمامة ستستمر من خلال ولده محمد ونسله مع الزعم أن

الإمامة نصت على أهل إسماعيل. وفريق آخر ساق الإمامة إلى موسى الكاظم وكذلك نصت الإمامة على الخمسة الآخرين وصار عدد الأئمة عندهم اثني عشر إمامًا من هذه الطائفة، ويطلق عليها الإمامية أو الشيعة الإثنا عشرية[٦].

وفيما يتعلق بقيام مجموعة من الهندوس في إقليم كجرات باعتناق الإسلام؛ فله أسباب تاريخية موغلة في فترة العصورالإسلامية المبكرة، حيث بدأت عملية قيام غير المسلمين من الهندوس والطوائف الدينية الهندوسية الأخرى باعتناق الإسلام منذ دخول الإسلام إلى السند عام ٣٤٧هـ/٩٥٨م، لاسيما بعد قيام الشيعة الإسماعيلية بتأسيس الدولة الشيعية في ملتان التي صارت فيما بعد نقطة التحول العقدي للطائفة الإسماعيلية في القارة الهندية، حيث تمكنت من تحويل عدد كبير من الهندوس إلى العقيدة الإسماعيلية بسبب قيام الدعاة الإسماعيليين ببذل الجهود والمساعي في النشاطات الدعوية سرًّا وجهارًا. وعلى الرغم من أن الحكم والسلطة السياسية للطائفة الإسماعيلية انتهيا في الملتان في عام ٣٩٦هـ/١٠٠٥م، فإن عملية نشر الثقافة الإسماعيلية وعقائدها استمرت وكانت تتم ممارستها بحرية تامة في ظل حكم الدولة السامرة[٧] التي أشرفت عليها[٨]. ولما ساعدت الدولة السامرة الطائفة الإسماعيلية على بقائها ونشر عقائدها بحرية تامة، فقد ظلت لها سيطرة دينية، ونفوذ وتأثير على الملوك والأمراء، وكذلك كان لهم سيطرة اقتصادية وتجارية في هذه المناطق، فانتشرت العقائد الإسماعيلية الدينية فيما بعد إلى المناطق المجاورة لها ومنها المناطق الكجراتية بالدرجة الأولى التي بدأت تجتذب دعاة الإسماعيلية من اليمن لاسيما منذ عام ٤٦٠هـ/١٠٦٧م، فكان أئمة الإسماعيلية يلجأون إليها لنشر مذهبهم في الخفاء والجهر حسب المناخ المتاح لهم.

ولقد صارت مؤسسة الإمام الإسماعيلي مع الوقت القوة الموجهة والمركز الرئيس لتفعيل النشاطات الدعوية في الهند، وكان يعتبر المكان المركزي للطائفة الإسماعيلية. وحدث أول انقسام مذهبي سياسي في الدولة الفاطمية بعد وفاة

الخليفة «المستنصر بالله» عام ٤٨٧هـ/١٠٩٥م، فقد أبعد ابنه الأكبر «نزار» عن الخلافة، وتولى ابنه الأصغر «أبو القاسم أحمد» الذي لقب فيما بعد «المستعلي»، لاسيما أن الاثنين ادعيا الإمامة حسب النص، فانقسمت الشيعة الإسماعيلية بذلك إلى فرقتين: إسماعيلية نزارية تعتقد إمامة نزار، وإسماعيلية مستعلية ترى صحة إمامة المستعلي الذي ساعده رئيس الوزراء الأفضل القائم بأمره، فهو الذي عمل على جمع البيعة له لكراهيته نزارًا، وللانفراد بالحكم بتولي المستعلي الابن الأصغر المتزوج من أخته ست الملك. وقد حاول نزار بكل ما أوتي من القوة ووسائل ولكن كل المحاولات والمجهودات راحت سدى. وهذه الأحداث السياسية والمذهبية أدت إلى الانقسام الشديد في الطائفة الإسماعيلية ومنذ ذلك الوقت يطلق على الفرقة النزارية «خوجة»، والمستعلية «بهرة»[٩]. وهكذا نشأت فرقتان من الطائفة الإسماعيلية ذات الهويات المماثلة في كثير من الأحيان.

وفي المرحلة الأولى من تأسيس الدعوة النزارية في المناطق الكجراتية والدكنية، وصل بعض دعاة النزارية ومنهم الداعية «نور الدين» الذي اشتهر باسمه الهندي الذي اتخذه لنفسه وهو «نور ستكر». واستطاع هذا الداعية إدخال كثير من الهندوس إلى الطائفة النزارية أو سات بنته (Satpanth) أي الطريقة الصحيحة والسليمة، من خلال ممارسة السحر والكرامات والخوارق، وصارت له مكانة احترام وتكريم عند الهندوس[١٠]. وهناك روايات أخرى موجودة في مصادر البهرة التي تؤكد على وجود شخصية أخرى يطلق عليها مولا نور الدين الذي قام بتفعيل النشاطات الدعوية البهرية في منطقة الكجرات، وحسب هذه الرواية فالداعية خوجة نور ساتكر ومولا نور الدين كلاهما شخصية واحدة. وحسب مصادر البهرة وصل الداعية نور الدين عام ٤٦٠هـ/١٠٦٧م إلى الكجرات واستمر في النشاطات الدعوية إلى أن وصل إلى جنوب الهند وتوفي فيها ودفن في مدينة أورنك آباد الجنوبية. أما ضريح الخوجة النزارية في «نوساري» فيحمل تاريخ وفاة نور ساتكر عام ٤٨٧هـ/١٠٩٤م. وحسب

المستشرق الإنجليزي أرنولد صاحب تاريخ الدعوة في الإسلام، أن الداعية نور الدين الملقب نور ساتكر وفد إلى الهند في عهد الملك الهندي «سدهاراج» الذي حكم بين ٤٨٧-٥٣٨هـ/ ١٠٩٤-١١٤٣م، واختار له اسمًا هندوسيًا في حين أخبر المسلمين بأن اسمه الحقيقي سيد سعادت، وتمكن من تحويل أفراد بعض الطبقات المنبوذة الهندوسية القاطنة في الكجرات إلى الإسلام[١١]. غير أن المصادر الخوجية تؤكد على أنه وصل الكجرات بعد عام ٥٦٢هـ/١١٦٦م في عهد الملك الهندوسي بهيم ديو سولنكي الثاني (٥٧٥-٦٤١هـ/ ١١٧٩-١٢٤٣م)[١٢]. وعلى كل حال وفي وجود مثل هذه الروايات التاريخية المباينة وغير الدقيقة وانعدام الوثائق التي تثبت هذه القضية، فإنه من الصعب التأكيد على وجود تاريخ معين حول وصوله إلى الكجرات وعلى وفاته. إنما نستطيع التأكيد على أن هاتين الجماعتين من الطائفة الإسماعيلية نشأتا وترعرعتا في العصور الإسلامية المبكرة.

- **الجماعة الخوجية: لمحة عن تاريخها وأصولها:**

تتمتع الجماعة الخوجية بتاريخ طويل وثري وذلك لأن المشروعات التجارية الحرة والتنقل الدائم جعلتها من العناصر الناجحة والمهمة في الوقت نفسه. وقد استفاد التجار الخوجيون من النشاطات التجارية، وتنعكس ثرواتهم في كلمة خوجة أو خواجة ومدلولها بحيث إنها تحمل معنى النبل والصفاء والشهامة، وكان يطلق عليهم هذا اللقب على أساس أنهم رجال تجار وأغنياء وأثرياء، ويحظون باحترام كبير من لدن الشعوب التي يحتكون بها من خلال الأعمال التجارية[١٣]. وثمة رأي آخر يشير إلى أن كلمة خوجة مشتقة من كلمة «كهوج» أو من مصدره «كهوجنا» وهي كلمة هندية ومعناها البحث والفحص والتحقيق. ويعتقد ذلك الباحث المتخصص في اللغة الفارسية وهو البروفيسور قاسم سومر، الذي اشتغل أستاذًا للغة الفارسية في كلية الفينستون في مدينة مومباي (Elphinstone College)، وحسب رأيه فإن كلمة

خوجة أو خوجا مشتقة من كلمة «كهوج» الهندية، ومعناها البحث عن الحقائق الفكرية والدينية[١٤]. على أن بعض الباحثين يرون أنها كلمة محرفة عن كلمة «خواجه» أو خاجه الفارسية والتي تعني حرفيًا «السيد» أو «الأمير أو النبيل»، التي كان المسلمون الشيعة اختاروها لقبًا لهم مقابل لقب «تهاكر» الهندوسي الذي يعني أيضًا «السيد أو النبيل»، وكان يطلق هذا اللقب الأخير على الطبقة الثانية من الطوائف الهندوسية أي الكشترية القاطنة في المناطق الكجراتية والسندية إلخ، وهؤلاء الخوجة ينحدون من هذه الطبقة الكشترية بواسطة أسلافهم من لوهانا وبهاتيا الهندوس[١٥]. وعلى كل حال يقبل المعنى الأول على نطاق أوسع بالنسبة للمعنى الثاني، وله تداول وشهرة أكثر في الدراسات الخوجية.

أما الآراء الخوجية حول أصلهم من الطوائف الاجتماعية الوراثية الهندوسية؛ فهي تختلف، علمًا أن الأكثرية منهم ينتمون إلى قبيلة هندوسية يطلق عليها «لوهانا Lohana»، وهم يطلقون على أنفسهم «ركهو ونشي» الذي يمت إلى عشيرة الإله راما. أما الوثائق البريطانية المتعلقة بشؤون مسقط، فهي تشير إلى الخوجه باسم «اللواتية» ومعناها اللغوي باللغة السنسكريتية أحفاد ابن الإله راما والذي يطلق عليه «لووا أو لوا» (Luva or Luwa)[١٦]، وهذا يعني أن اسم «لواتيا» تم اشتقاقه من اسم سنسكريتي؛ ذلك لأنهم قبل اعتناقهم للإسلام يعتقدون في الإله راما، حيث إن القبيلة الهندوسية «لوهانا» تعتقد في الإله راما وأهله وعشيرته. ويبدو أنهم لم يستغنوا عن ممارسة بعض العادات والتقاليد حتى بعد دخولهم إلى الإسلام، ومن هنا لدى وصولهم إلى مسقط وعند بناء السور سموه باسم «لواتية». ويدحض الباحث «بدرو ديا» وهو عالم الأنتروبولوجيا من الجماعة الإسماعيلية، هذا الرأي على أساس وجود المصادر العديدة المتعلقة بالمصطلحات والمفردات الدينية والفكرية للطائفة الإسماعيلية والتي تؤكد على انعدام أي تأثير لقبيلة «لوهانا» في الجماعة

الخوجية. وهو يؤكد في كلامه على أن معظم الناس من الجماعة الخوجية الذين اعتنقوا الدين الإسلامي كانوا من الطبقات المنحطة والمنبوذة، وكانوا يريدون من خلال تلك التحولات الدينية والفكرية تحسين وضعهم الاجتماعي والاقتصادي[١٧].

ومع ذلك خلافًا لهذه الآراء المذكورة السابقة، يرى بعض الباحثين بأن أصول اللواتية يرجع إلى بهاتية وليس إلى «لوهانا»، وذلك لأن اسم «لوتي» يقدم فكرة مهمة لهذه النظرية بحيث إن هناك عشائر من البهاتية يطلق عليها «بنج لوتيا» والتي تعني حرفيًا «الشهداء الخمسة» الذين يحتلون مكانة كبيرة في تاريخ «بهاتيا»[١٨]. وتحول كثير من الأسر البهاتية القاطنة في السند إلى الإسلام في العصور الإسلامية، ومن هنا يرى بعض الباحثين أنه من المؤكد بأن أصل اللواتية من عشيرة «بنج لوتيا» الذين اعتنقوا الإسلام الشيعي على المذهب الإثني عشري، واحتفظوا بهذا اللقب لهم ولسلالتهم في داخل الهند وخارجها[١٩].

وجاءت توضيحات الباحث «لوكهند والا» مختلفة تمامًا، حيث إنه يذكر أن الجماعة الإسماعيلية الآغا خانية الذين يطلقون على أنفسهم «ممنس Mom-nas»، ينتمون في الأصل إلى الطائفة الهندوسية يقال لها «ليوا كنبيز أو كانبيس Leva Kunbis or Kanbis». ويقيم عدد كبير من «ممناس Memons» في منطقتي كجه وكاتهيوار في الكجرات، وهؤلاء الميمنيون بعد دخولهم إلى الجماعة الخوجية حصلوا على مكانة صغيرة في المجتمع الإسماعيلي. ويخمن الباحث «بدرو دي» أن بعضًا من الجماعة الخوجية في اعتقاداتهم الأصلية اكتشفوا أنهم مختلفون تمامًا عن جماعة ميمن، وفي حقيقة الأمر فهم قد انفصلوا عن الجماعة الخوجية الذين يرون أنهم من الدرجة الثانية ويتم التعامل معهم على هذا الأساس[٢٠]. وبغض النظر عن المعاني والنظريات حول أصلهم، إنما الحقيقة تقول وتؤكد على أن الخوجة أو اللواتية كانوا في الأصل من الهندوس ثم اعتنقوا المذهب الإسماعيلي الإثني عشري وصاروا جزءًا منه.

ويرى الخواجة حسن نظامي أن الخوجات اعتنقوا المذهب الإسماعيلي النزاري بدعوة بير أي الشيخ بالفارسية شمس الدين وبير صدر الدين وبير كريم الدين وجهودهم الدعوية[٢١]. وكان بير شمس الدين من دعاة الإسماعيلية النزارية الذي قام بتفعيل النشاطات الدينية النزارية في منطقة السند. وقد ساعده في نشاطاته الدعوية حفيده الأكبر بير صدر الدين على إنشاء المراكز الدعوية النزارية في ربوع الهند وربط مصالحها بالمراكز النزارية والأئمة الذين كانوا لايزالون يقيمون في إيران. ومن هنا نستطيع القول إن الدعوة النزارية في الهند كانت على اتصال قوي بالأئمة الإسماعيلية في إيران.

وعلى كل حال تمكن بير صدر الدين من تنظيم النشاطات النزارية وتوحيدها في شبه القارة الهندية وقام بتقوية الجماعة النزارية أو الخوجية وتعزيزها بكل ما أوتي من المال والسلطة[٢٢]. ولما بدأ الاعتداء على بير صدر الدين من جانب السومريين في السند، لجأ إلى مدينة جام نكر، ومنها زار منطقة بهوج الواقعة في الكجرات فيما بعد؛ وذلك في عهد الملك الهندوسي بهرمل الأول (٩٩٥-١٠٤١هـ/ ١٥٨٦-١٦٣١م) الذي وفر له الأمن والأمان والحماية الكاملة وللمعتقدين فيه ما ساعده على تأسيس حركته الدينية ودعوة الهندوس من قبيلة «لوهانا» التجارية إلى الإسماعيلية النزارية، حيث قبل كثير منهم مذهب الإسماعيلية النزارية، وأطلق عليهم لقب «خوجا أو خوجه». وقد تأثر به الملك الهندوسي وبما أتى به من الكرامات والخوارق، ومنها إنزال المطر على الأراضي المنكوبة بالجفاف في منطقة بهوج في الكجرات[٢٣]. ويوجد ضريحه قريبًا من مدينة «أوجه Ucch, south of Multan» الواقعة في ملتان الجنوبية. ويعتبر بير صدر الدين أول من صنف أول كتاب ديني للجماعة الخوجية لممارسة النشاطات الدينية والتشريعية. وكانت الجماعة الخوجية قد استمرت في الاستعانة بهذا الكتاب الديني في أعمالها الدينية حتى عام ١٣٧٤هـ/١٩٥٤م إلى أن قام الآغا خان الثالث باستبداله بكتاب ديني آخر مكتوب باللغة العربية. وتجدر الإشارة هنا

إلى أن بير صدر الدين أيضًا قام بإنشاء (جماعت خانات) أي قاعة خاصة لأداء الصلوات والأنشطة الدينية والاجتماعية الأخرى، والتي تعتبر مركزًا دينيًا لتنظيم الحياة الاجتماعية التقليدية للجماعة الإسماعيلية النزارية[٢٤].

وخلفه ولده حسن كبير الدين الذي استقر في منطقة أوجه التي صارت مقرًا رئيسًا للإسماعيلية النزارية أو الجماعة الخوجية في القارة الهندية[٢٥]، حيث معظم الشيوخ الكبار من الجماعة الخوجية ظهروا في هذه المنطقة، وقد استمرت هذه المنطقة في أداء دورها الديني والاجتماعي بالنسبة للجماعة الخوجية جيلًا بعد جيل ثم صارت نسيًا منسيًا.

وقد اتخذ الدعاة النزارية وسائل دينية هندوسية لتحويل الهندوس إلى عقائدهم. ومن أهم هذه المظاهر أنهم أكدوا لهم على أن محمدًا ﷺ وعليًا رضي الله عنه مظهر الألوهية، حيث برز فيهم «وشنو» – وهو أحد آلهة الهندوس –. وفي كتابه «دس أوتار» أي التجليات العشرة، ذكر بير صدر الدين أن عليًا تجسد فيه إله وشنو فصار مظهره الألوهية وهو العاشر من تلك المظاهر[٢٦]. وكذلك جعلوا كلمة «علي» متساوية المعنى والمفهوم بكلمة هندوسية «أوم»[٢٧]. ويبدو أنهم فعلوا ذلك للتقرب إلى الهندوس ومن هنا قاموا بمزج بين عقائدهم والعقائد الهندوسية بتصوير سيدنا علي كأحد آلهتهم، وتحريمه أكل اللحم كما كان يوجد في تقاليدهم الدينية والتراثية.

ولا شك في أن مثل هذه النشاطات الدعوية والوسائل الدينية الهندوسية ساعدت الدعاة الخوجية على تحويل خلق كثير من الهندوس في بلاد السند والكجرات إلى مذهب الجماعة الخوجية. وهذا العمل بدوره جعلهم يمسكون بعاداتهم وتقاليدهم الدينية والاجتماعية الهندوسية والاستمرار في ممارسة الشعائر الدينية الهندوسية مع الشعائر الخوجية. وكان يطلق عليهم قوطيز (Quotis) أو الجماعة

السرية الإسماعيلية[٢٨]. وقد واصل الدعاة الخوجية لاسيما أحفاد الشيخ شمس الدين الإسماعيلي نشاطاتهم الدعوية سرًّا في السند. وقد قام هؤلاء الدعاة الخوجية بإدراج معظم الطقوس الدينية والعادات والمعتقدات بالشعائر والمعتقدات الإسماعيلية الخوجية مع إسقاط بعض الفرائض الإسلامية مثل إسقاط الوضوء والصلوات بالطريقة الإسلامية المعلومة، إنما ألزمهم بأن يقولوا: لا إله إلا الله، الحمد لله، الله أكبر، وبعض الآيات القرآنية سرًّا في أوقات الصلاة.

ويبدو أنهم فعلوا ذلك أيضًا لسبب سياسي واجتماعي، حيث إن الجماعة الخوجية كان من الصعب لهم أن يفصلوا أنفسهم ونسبهم التراثي من ركهوونش (Raghuvansh) الذي يمنحهم النسب الملكي ويضعهم في منظومة اجتماعية تراثية كشترية التي تحتل المكانة الثانية في التسلسل الهرمي للطبقات الهندوسية الاجتماعية والدينية الوراثية. ومن هنا نستطيع القول إنهم اختاروا الوسائل الدعوية المختلفة المرنة حسب المكان الذي كانوا يستقرون فيه ما دفعهم إلى دمج العادات والتقاليد الاجتماعية والمعتقدات الدينية الهندوسية بالمعتقدات الخوجية النزارية[٢٩].

ربما وكما كتبت سابقًا أن الدعاة شعروا بضرورة تبني النظرة الأوسع لكي يتمكنوا من تعريف أفكارهم وترويجها ونشرها على مستوى أعلى بين الناس الهندوس وجذب انتباههم إليهم وإلى نشاطاتهم الدعوية، وهو الأمر الذي مهد لهم الطريق لممارسة نظام التقية. والجدير بالذكر أن الجماعة الخوجية خلال هذه الفترة المبكرة من الدعوة السرية والخوف من الاضطهاد اتخذوا نظام التقية الذي كان يوفر لهم الفرصة لإخفاء الحق ومصانعة الناس والتظاهر بغير ما يعتقدون فيه خوفًا من البطش أو الظلم[٣٠]. وفي نهاية المطاف وفي ضوء ما ذكرنا نستطيع القول: إن الجماعة الإسماعيلية الخوجية الآغاخانية كانوا ولا يزالون مختلفين في مسألة اتباع الشعائر الدينية الإسلامية[٣١].

وكانت الجماعة الخوجية ولا تزال عبارة عن مجموعة متماسكة ومتشابكة مع بعضهم بعضًا، وهم يعيشون من خلال النظم والقواعد الاجتماعية التي تحكم عليهم في كل كبيرة وصغيرة من المصالح العامة والخاصة، وهذه النظم والقواعد متشابهة تمامًا بالجماعة الهندوسية يطلق عليها «مهاجن»، كأنهم يتخذونها منهم من أجل تنظيم حياتهم الاجتماعية والدينية[٣٢]. وكذلك تقوم «جماعت خانات» الخوجية بتحقيق مصالحهم العامة والخاصة. وكلمة جماعت عربية الأصل ومعناها طائفة أو مجموعة من الناس يجمعها غرض واحد، أما كلمة جماعت خانة فمعناها مكان خاص لممارسة النشاطات الدينية والاجتماعية[٣٣].

وكان أفراد الجماعة الخوجية منذ بداية تأسيس جماعتهم يتعلقون بجماعت خانة ويرتبطون بها ارتباطًا وثيقًا، حيث يجتمعون فيها من أجل ممارسة النشاطات الاجتماعية والدينية، ويضم إليها كل من ينتمي إلى هذه الجماعة، ومن هنا فهم كانوا ولا يزالون يقومون بإنشاء جماعت خانة أينما حلوا واستقروا في داخل الهند وخارجها. أما في مسقط فتؤدي جماعت خانة دور دار الضيافة العامة لأعضاء الجماعة الخوجية الذين يسافرون ويتجولون بين كربلاء، والهند ودول شرق إفريقيا[٣٤]. وقد صارت ملكية جماعت خانة قضية متنازعة بين المجموعتين من الجماعة الخوجية[٣٥]، وذلك لأن الانفصال والانشقاق التاريخي الذي تناولته في الصفحات السابقة، أدى إلى ظهور مثل هذه الخلافات والنزاعات داخل الجماعة نفسها، وهو الأمر الذي يبعد إمكانية تسوية الخلاف فيما بينهم.

ويجدر بالذكر أن الإعداد الهيكلي الدقيق للجماعة الخوجية يحافظ على السيطرة عليها والحكم فيها بصورة دقيقة وشاملة. ويتكون المجلس من خمسة أعضاء من الشخصيات الكبيرة الذين يديرون الجماعة وشؤونها الخاصة والعامة، فهو المرجع الأساسي في الشؤون الدينية والاجتماعية ويتولى كافة المسؤوليات

المتعلقة بجماعت خانة. وهؤلاء الأعضاء غير قابلين للعزل ويتم تعيينهم على أساس أنهم سيظلون في موقعهم حتى وفاتهم. ولا يتم أي عمل أو الإلزام به، وكذلك لا يعد إطارًا قانونيًا يؤخذ بعين الاعتبار إلا بعد الموافقة عليه شفويًا كان أم خطيًا بالإجماع من جانب هذا المجلس.

ويختار المجلس موظفين مساعدين لإدارة الشؤون الإدارية والمالية يطلق على الأول «مكهي» أي أمين الصندوق، و«كماريا أو كماديا» أي المحاسب، وهما يقومان بجميع الأعمال تحت رعاية هذا المجلس وإشرافه. وتتم إدارة شؤون جماعت خانة المالية والإدارية من خلالهما؛ وذلك لجمع العشر من أي نوع كان من الأعمال وتقديمه للإمام، وتولية الشؤون الدينية والإشراف على الشؤون العامة مثل الحضور بمناسبة مواليد الأطفال، ومناسبة الزواج والموت إلخ. وهم أيضًا يجمعون أموال الزكاة يطلق عليهم «دوسنده» والصدقات والنذور والمساعدات المالية الأخرى التي يقدمها أصحاب هذه الجماعة[٣٦].

وعند النظر في النظم الإدارية الأخرى نرى أن التسلسل الهرمي للجماعة الخوجية يشبه إلى حد ما قمة التسلسل الهرمي للقساوسة مع الاختلاف البسيط في الشؤون الإدارية وواجباتها المختلفة. وتجدر الإشارة هنا إلى نقطة مهمة وهي أن الأموال والموارد المالية التي تؤخذ بالالتزام كضريبة للأغراض الدينية والاجتماعية التي كانت تعتبر ملكًا للآغا خان، صارت في عام ١٨٦٢م قضية رئيسة في الجماعة الخوجية التي لم تتحدد فيها حقوقه فحسب؛ بل تسبب أيضًا في المزيد من الانقسام للجماعة الخوجية[٣٧].

■ الانقسام والانشقاق:

وقد ظهرت الجماعة الخوجية تحت قيادة آغا خان كمنظمة معقدة للغاية[٣٨]. وقد حصل الإمام شاه حسن علي (١٢٣٣-١٢٩٩هـ/ ١٨١٧-١٨٨١م)، وهو الإمام

السادس والأربعون للطائفة الإسماعيلية النزارية، على لقب «آغا خان» من شاه إيران، شاه فتح علي قاجيري الذي زوجه من ابنته[٣٩]. وقد هاجر آغا خان من إيران إلى الهند عام ١٢٦١هـ/١٨٤٥م واستقر في نهاية المطاف في مدينة مومباي، وهو يعتبر أول إمام من أئمة المذهب الإسماعيلي النزاري استقر في الهند[٤٠].

ومع مرور الوقت حدثت بعض التغيرات والتحولات السياسية والاجتماعية في عصر الاستعمار البريطاني ما جلب تغيرات خطيرة في منظومة الجماعة الخوجية. ومن أهم هذه الأحداث التي أدت إلى الجدل والنزاع والخصام بينهم ما يتعلق بحقوق «الإمام الحي» وهذه القضية في نهاية المطاف أدت إلى تقسيم الخوجات إلى الطوائف والجماعات المختلفة. وعلى الرغم من أن آغا خان وفر له المستعمرون الإنجليز الحماية الكاملة واعترفوا به إمامًا للطائفة الإسماعيلية، إلا أن خصومه من أبناء طائفته أعربوا عن غضبهم من خلال رفع القضية عليه في محكمة ممبي العليا حول قضية وضعه الديني والاجتماعي بين الجماعة الخوجية. وقد صارت مسألة وجوده في الهند خطيرة بعد أن قام بنقل قاعدته إلى الهند. وفي أثناء هذه الأحداث رفعت القضية المتعلقة بممتلكات واحد من الخوجة الذي طالبت بناته بنصيبهن من هذه الممتلكات، ودعم آغا خان قضية البنات طالبًا من المحكمة إعطاء النصيب لهن، في حين أن خصومه يدعون أن هذه الممتلكات ملك للجماعة الخوجية أي لـ جماعت خانة، وعلى كل حال جاء الحكم لصالح البنات، وأصبح آغا خان أبرز القادة الإسماعيليين في القارة الهندية. هذا وقد تحولت المعارضة أكثر شراسة عندما هاجم أتباع آغا خان على مجلس «بهاربهي» وطردوا أربعة أعضاء منه في ١٣ نوفمبر عام ١٨٥٠م/ الموافق ١٢٦٦هـ[٤١].

وقد تفاقمت المشكلات التي تسببت في وجود ضجة كبيرة بين المؤيدين والمخالفين ودفعت المنشقين إلى الشعور بتقوية الجبهة الخاصة للدفاع عن آغا

خان ومصالحه في الهند. أما المعارضون خصوصًا مجلس باربهي المكون من اثني عشر عضوًا قاموا بتحدي آغا خان بعدم التمكين من جمع الأموال منهم وغيرهم؛ لأنه ليس بإمامهم. وعارضوه بشدة ورفعوا قضية ضده في المحكمة العليا في عام ١٢٧٩هـ/١٨٦٢م. وادعى خصومه لدعم قضيتهم بأن أبناء الطائفة الإسماعيلية في جنوب آسيا لا ينتمون إلى آغا خان وقرار المحكمة في هذا الأمر غير صحيح ومرفوض جملة وتفصيلًا.

وهذه القضية معروفة جدًا وكانت تعرف بقضية كبرى للجماعة الخوجية. وعلى كل حال حكم القاضي الإنجليزي السير جوزيف أرنولد (Justice Sir Joseph Arnould) في المحكمة العليا في بومبائي في ١٢ نوفمبر عام ١٨٦٦م/١٢٨٣هـ لصالح آغا خان حيث كان قرار المحكمة واضحًا في التأكيد على أن آغا خان هو زعيمهم الديني وسيحصل على جميع الحقوق التي طالب بها هو، وبموجب هذا القرار تم طرد خصومه من الجماعة الخوجية[٤٢]. وتشير القضية أن المنشقين والخصوم طعنوا في حقوقه المعلومة عند الجماعة، ولتحقيق هذه الغاية استعانوا بالفريق الثالث خارج الجماعة[٤٣]. ولا شك في أن قيام بعض الناس من الجماعة بطرح الأسئلة حول السلطة الدينية وطلب المساعدة القانونية لحل مشكلاتهم في داخل الجماعة، تشير إلى أن بعض أتباع هذه الطائفة كانوا يرغبون في الابتعاد عن السيطرة المفردة والاستبداد.

ونتيجة لهذه الخلافات والخصومات ظهرت ثلاثة فروع جديدة رسمت هيكلة جديدة للمذهب الإسماعيلي في الهند. ويتكون الفرع الأول من الناس المؤمنين بأن إسماعيل بن جعفر هو الإمام السابع الأخير من آل البيت ويطلق عليهم «سبعية» أو مجرد «الإسماعيلية» أو «الآغاخانية»، على أساس أنهم يعتقدون في سبعة أئمة فقط ويدفعون العشر أو «دوسنده»[٤٤]. وقد أصبح بعض منهم سنيين وهم من الفرع

الثاني، والبقية انضموا إلى الفرع الرئيس للمذهب الشيعي ويطلق عليهم «خوجه الاثني عشرية» الذين يؤمنون باثني عشر إمامًا بعد النبي ﷺ من أهل البيت. ويطلق على الشيعة الموجودين في شرق إفريقيا الاثني عشرية أيضًا.

أما الخوجة السنية، فعلى الرغم من أنهم تبنوا الشعائر الدينية السنية وعقائدها في الثقافة الدينية، إلا أنهم يطلق عليهم أيضًا مصطلح «خوجه». وتجدر الإشارة هنا إلى أن المسلمين الشيعة زعموا أن عليًّا هو الأحق في وراثة الخلافة دون الشيخين وعثمان رضي الله عنهم أجمعين[٤٥]. وقد أدت هذه الانقسامات والصراعات العقائدية بخروج عدد كبير من الشيعة الإمامية أو الاثني عشرية من الطائفة الإسماعيلية والسعي لرسم هويتهم المتميزة[٤٦]. وهكذا ظهرت طائفتان من الشيعة الإسماعيلية وهما الخوجة السنية، والشيعة الاثني عشرية لرسم صورة فكرية جديدة. وقد حدث الانقسام بين الاثني عشرية والآغاخانية رسميًّا إثر قيام آغا خان بإصدار مرسوم ديني وتهديد المجلس باربهي (Barbhai). وهذا الأمر أدى إلى تقسيم الخوجات بين الفروع العديدة، ومنهم جالية كبيرة من الإسماعيلية خرجت من العقائد الدينية الإسماعيلية[٤٧].

وكذلك صار وضع آغا خان سيئًا ومهددًا في المناطق الأخرى لاسيما في دول شرق إفريقيا. وقام آغا خان الثالث المتوفى ١٣٧٦هـ/١٩٥٧م برحلات خاصة إلى دول شرق إفريقيا، ومنها زنجبار التي زارها عام ١٣١٦هـ/١٨٩٩م من أجل ضبط الأمور لصالحه، ولدى وصوله هناك أصدر فرمانًا لأتباعه لتحديد مكانه كإمام لهم مع التأكيد لهم أنهم جزء لا يتجزأ من الطائفة الإسماعيلية الآغاخانية[٤٨].

ويجدر بالذكر أن جميع الخوجات حتى ذلك الوقت كانوا ينتمون إلى جماعت خانة واحدة ويلجأون إليها لحل قضاياهم وذلك بسبب العلاقات الأسرية والاجتماعية والتزاوج بين بعضهم بعضًا، وقد استمر هذا الوضع إلى عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م حيث

تغير كثير من الأوضاع الاجتماعية والدينية ما أدى إلى الفصل التام بين الإسماعيلية الآغاخانية والاثني عشرية[٤٩].

وقد أكد الدستور الذي تم إعداده في عام١٣٢٣هـ/١٩٠٥م، على وجود المنصب الديني والاجتماعي والسياسي للإمام آغا خان، وأعطاه الشرعية الدينية الكاملة، وصار هذا القانون يؤدي دور جهاز أمان له لصيانة منصبه وحفظه من الذين كانوا يدعون ويطالبون بالملكية الجماعية بدلًا من الفردية. وقد رفع خصومه قضية أخرى بهذا الشأن في عام ١٣٢٣هـ/١٩٠٥م في المحكمة العليا بمدينة مومباي، وبناءً على ذلك أصدر آغا خان الثالث قانونًا جديدًا بموجبه تم اختيار ثلاثة وكلاء له من أتباعه وتم تعيينهم للقيام بدوره في الشؤون المالية والإدارية المتعلقة بالأراضي والعقارات والممتلكات لجماعة الخوجية في شرق إفريقيا. ومن هنا قد شهدت الجماعة الإسماعيلية الآغاخانية في النصف الأول من القرن العشرين تحت إمامة آغا خان الثالث مثل هذه التطورات الاجتماعية والاقتصادية في شرق إفريقيا وفي جنوب آسيا، حيث تم التركيز في هذه الفترة على ضرورة تسليم جميع السلطات للآغا خان ودعمه؛ وذلك لتخفيف التوترات ومواجهة التحديات من جانب خصومه، ولحض أتباعهم على سداد التزاماتهم المالية التي يقررها عليهم مذهبهم إلى الإمام كدليل على طاعتهم له وإيمانهم به[٥٠].

وقد وضعت بعض القوانين الصارمة للحفاظ على كينونة الجماعة، ومنها عدم الانفصال عن الجماعة نهائيًا، معتبرًا إياه ردة دينية ويترتب عليه التعرض للعقوبة القصوى، وفي حالة عدم الانضباط داخل الجماعة في جميع المسائل الدينية والاجتماعية وغيرها يتم فصلهم وطردهم من الجماعة[٥١]. وقد أدت هذه التطورات إلى المزيد من الانقسام بين الخوجة وكانت لها تأثيرات بالغة في الشعائر الدينية وفي المنظومة الاجتماعية لاسيما عند الذين استقروا في مسقط.

ووفقًا لتقارير E. C. Ross، الوكيل السياسي لدولة بريطانيا في مسقط؛ فإن أغلب الأعضاء من الرجال الخوجة قطعوا علاقاتهم بآغا خان، وإنما بقيت زوجاتهم من أتباعه ولم تنقطع صلتهن به وتبعيته. وهذا الأمر بطبيعة الحال أدى إلى توسيع فجوة الاختلافات والتباينات بين الشطرين والخلافات العائلية، وبالتالي وفي هذا الإطار لا شك أن هذه المواقف السلبية لم تحل بسهولة وبالكاد تركت آثارًا كانت تنعكس على البناء الداخلي للأسر الخوجية، وخلقت حالة نفسية سلبية تعكر صفو حياتهم الأسرية(٥٢).

أما من الناحية الدينية؛ فقد شهدت الجماعة الخوجية لاسيما النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي، كثيرًا من المناقشات التي دارت بين أعضاء الجماعة الخوجية الآغاخانية بخصوص طبيعة الإسلام والنوع الذي ينبغي لهم أن يربطوا أنفسهم به لممارسة الشعائر الدينية، ما أدى إلى رفع سلسلة من القضايا في المحاكم. ولا شك في أن هذه التحولات والتطورات الدينية والاجتماعية أجبرت آغا خان على التصرف مع هذه القضايا بحزم تام لحماية موقفه من خلال الدعاوى القضائية. وهكذا، فإن النزعة لإصدار الفرمانات تشير إلى أن العهد التقليدي الذي كان يعيش فيه الخوجيون قد انتهى جزئيًّا(٥٣).

وعند دراسة خلفية الخلافات والانشقاقات التي حدثت في الجماعات والطوائف الإسلامية، نجد أنها أدت إلى نشأة المزيد من التفرعات عن هذه الجماعات والفرق الإسلامية في العصور الإسلامية وما بعدها. وهذا ما حدث بالضبط مع الطوائف الشيعية؛ فمنذ أواخر القرن التاسع عشر وما يليه، انشقت طوائف صغيرة ومجموعات متفرقة واستقرت في مساحات صغيرة ذات هوية بدائية؛ ذلك دون خيار عملي، ولما لم يتسن لها تحديد هويتها من الناحية العملية، قامت – ومن أجل تعريف نفسها – بتحديد شخصيتها ضمن واحد من التصنيفات الدينية الأوسع إما بالانتماء إلى الهندوسية أو إلى الإسلام(٥٤).

وعلى الرغم من أنه كان قد ثبت واتضح تمامًا أن هذه الطوائف والجماعات الدينية الشيعية انفصلت من أصلها، وظهرت على مسرح الفلسفة والتاريخ من باب الخيار العملي والمنطقي، فقد كان هذا الظهور أيضًا مشروطًا بخصوصياتهم المتوقفة على القرينة. وعملية ظهور هذه الفرق والطوائف الدينية دفعت جميع المنتمين إليها إلى التورط في التفاوض المستمر بين جميع التيارات الدينية المختلفة، وقد قادت بعض الأحيان أعضاءها إلى استخدام الأدوار الطائفية كوسيلة فعالة للتعبير عن هذه التصورات والأفكار[٥٥].

وفي ضوء السطور السابقة ينبغي للمرء أن يحدد خصوصيات لبعض هذه العناصر التي انفصلت عن أصلها واستقرت بنفسها في ظروفها الخاصة. وتجدر الإشارة هنا إلى أن ثمة سمة مشتركة بين كل من الطائفة البهرية والخوجية وهي أن كلتيهما شاهدتا الانشقاقات في فترات زمنية حول قضيتي السلطة الفردية والقيادة الجماعية، وتوضيح النشاطات الدينية وممارستها وفق الإيمان الواضح والمحدد، وحول النظم الإدارية والمالية واستخدام الموارد المالية. وعادة عملية الانشقاق من الأصل تدفع الجماعات والفروع الصغيرة إلى الاستقلالية في إنشاء المساجد وجماعت خانات وغيرها من المباني الدينية[٥٦].

وهناك سمة مشتركة أخرى في هاتين الجماعتين أي الخوجة والبهرة، والتي تكمن في وجود إطار هرمي من الهيمنة السياسية والتبعية. ونجد أن التنظيم الديني للإسماعيلية الخوجية مماثل لما يوجد لدى البهرة الداؤدية؛ وذلك لأن كلتيهما نشأتا من خلال المعتقدات الفاطمية المشتركة. ويجدر بالذكر أن نظام حق الطرد من الجماعة نظام هندوسي ويوجد في الديانة الهندوسية، وقد اتخذه لأول مرة آغا خان الأول وطبقه ضد الفرقة المنشقة الاثني عشرية في مومباي التي كان يطلق عليها «باره بهاي أو باربهي». وبدأت الطائفة الإسماعيلية الآغانية تستخدم هذا النظام لمنع كثير من المنشقين من الانضمام إلى حزب المعارضة أو لتجنب المقاطعة

الاجتماعية. وكذلك يوجد فيهما نظام مماثل حول الاحتفاظ بالتسلسل الهرمي البابوي والوحدات الاجتماعية والثقافية الكبرى[٥٧].

ومن هنا فالانقسامات الكبيرة أدت إلى إعداد تنظيم ملائم والاحتفاظ به والذي يحصر بعض الأحيان في تواصل مساره التصاعدي، ومن ثم إذا حاول أحد أن يتكلم عن السلطة أو يعبر عن رأيه عنها لحدثت الانشقاقات وتم طرده من الجماعة. وبالتالي نستطيع القول إن هذا النظام ترك مجالًا ضيقًا للمنتمين إلى هذه الجماعة للاستجواب وطرح الأسئلة العقلانية. والخوف من الطرد والإخراج من الجماعة ربما يمنع أصحاب العقول النيرة أن يعبروا عن آرائهم علنًا، ولو فعلوا ذلك لتم طردهم ووضعهم في خانة المتمردين والمطرودين الذين حاولوا قبل ذلك مثل هذه الجرأة أو عارضوا الجماعة ورؤساءها[٥٨].

ولا شك في أن وجود فكرة المصالحة في المذهب الإسماعيلي العام مكنت الطائفة الإسماعيلية بصورة عامة وجميع الطوائف الدينية المنشقة منها من الخوجات والآغاخانية وغيرها والطوائف الفرعية من الاستقرار وتنظيم أنفسهم في الحياة الاجتماعية والسياسية أينما حلوا واستقروا. ولعل قيام العناصر الرئيسة لهذه الجماعة بالتحكم المركزي، مثل البابوية النصرانية، ساعدهم على بناء أسس قوية وكبيرة يجمع حولها الكل دون الاختلاف والنقاش، وهذا الأمر بدوره قضى على روح المنطق والفلسفة وحرية الرأي في الجماعة. وعلاوة على ذلك، فإن الجماعة والمنتمين إليها يقومون بممارسة جميع الأنشطة الاجتماعية والدينية والسياسية في داخل جماعت خانه ولا يسمح لغير الخوجة أن يحضرها أو يشاركها. وهذه الأصول والقواعد تساعدهم على الحفاظ على أوضاع السلطات المهيمنة والمسيطرة على الجماعة وكذلك تمنع دخول النظم والعادات والتقاليد غير المذاهب الإسماعيلية إلى جماعت خانة وممارستها من جانب الناس الخوجية[٥٩].

■ الحياة الاجتماعية للخوجات:

ونستطيع أن نرى تأثير الدين والمذهب الإسماعيلي الواضح في حياتهم وعاداتهم وتقاليدهم الخاصة والعامة. ومن القواسم المشتركة بين الخوجة الإسماعيلية والاثني عشرية وخوجة ميمن اهتمامهم بإنشاء المنازل والبيوت المستورة من الخارج والمفتوحة والمربوطة مع بضعها بعضًا من الداخل ذات الأفنية الداخلية التي تحافظ على خصوصيتهم وفي نفس الوقت تسمح لنسائهم بالتحرك دون الحجاب في داخل السور[٦٠]. ونجد فيهم تماسكًا قويًا الذي يتم الاحتفاظ به من خلال نظام التجمعات والمؤسسة المجتمعية القوية، ويظهر هذا التماسك والترابط في شكل الرموز المادية والمعنوية القوية. وهذه العادات والرموز تنعكس في حياتهم في كل مكان استقروا فيه[٦١].

ونضرب هنا مثالًا واحدًا لمزيد من التوضيح، فمن المعروف أن الخوجات على الرغم من أنهم هاجروا مواطنهم الأصلية واستقر كثير منهم في عمان وزنجبار ومناطق شرق إفريقيا، إنما حاولوا بحماس شديد الحفاظ على هويتهم الدينية والاجتماعية وعلى عاداتهم وتقاليدهم في عمان، ومن هنا فهم أخذوا مكانًا خاصًا لهم للاستقرار فيه والذي تطور مع الوقت ويطلق عليه «سور اللواتية» الواقعة في مطرح، الذي يعيش الخوجات في داخله في منازلهم وفق نمط معين واحد ويتم التزاوج فيما بينهم ويحتفظون بخصوصيتهم التي تكاد تكون أسرارًا فيما بينهم، ويتحدثون لغة خاصة بهم؛ وكل ذلك لكي لا تذوب هويتهم في المجتمع العربي[٦٢].

ولما كان السور تفرضه قيود في الدخول والخروج منه، لا يسمح لأي غريب أن يدخله دون الحصول على الإذن المسبق، ذلك لأن المرأة الخوجية تتحرك في داخل السور بحرية تامة ودون حجاب، وبحيث إن جميع البيوت الخوجية تقع في داخل السور. وفي عام ١٢٩٠هـ/١٨٧٣م أوضح سليمان خوجة الذي كان عمدة

للسور آنذاك، للمستشرق بارتل فريري (Bartle Frere) بأنه في الأزمنة القديمة اهتم أسلافهم بإنشاء البيوت المتلاصقة وطوابقها المتعالية ذات الأبواب والنوافذ الداخلية، ومع مرور الوقت تم إنشاء السور الكبير حول هذه المنازل مع إنشاء برجين والبوابة الرئيسة. وقد شاهد المستشرق فريري هذا السور والبوابة الرئيسة التي تحمل تاريخ إنشاء السور والذي يعود إلى مئتين وأربعين عامًا حسب قوله[٦٣].

وفي هذه البيئة الخاصة الموجودة في داخل السور المعزول ذات البيوت المتلاصقة الغريبة والممرات والطرق الضيقة يجد الخوجات، لاسيما نساءهم، بيئة منفردة، حيث إنهن يشعرن بالراحة والسهولة في التحرك وزيارة بعضهن بعضًا، ومن الأمور اللافتة أن مثل هذه البيوت الخوجية توجد في مناطق أخرى مثل زنجبار وغيرها. وتساعد مثل هذه الأوضاع الاجتماعية الخوجات على الاحتفاظ بعاداتهم وتقاليدهم وحماية معتقداتهم الدينية والفكرية وتعزيزها وممارسة الطقوس الدينية الخاصة بمعتقداتهم الدينية والمذهبية[٦٤].

ولا شك في أن هذه المستوطنات المجتمعية عززت حياتهم الاجتماعية المترابطة إلى جانب تقوية العلاقات مع بعضهم بعضًا؛ ومن هنا تتميز الحياة الاجتماعية الخوجية عن المستوطنات الأخرى. وكما ذكرت في السطور السابقة أنه على الرغم من أنهم هاجروا إلى البلدان والمناطق الأخرى خارج الهند، إلا أنهم بعد استقرارهم في هذه المناطق قاموا بصياغة نمط خاص مألوف والخطوط العريضة للمعيشة المشتركة مع توثيق القيم الاجتماعية والثقافية، ما ساعدهم على تعزيز العلاقات والتقارب من المجتمع الذي عاشوا بين ظهرانيه. ومع ذلك كان النمط الخاص لحياتهم الاجتماعية منعهم عن الاحتكاك بالمجتمعات الأخرى، فصاروا من الشعوب المنغلقة على ذاتها بسبب عدم الاندماج والانسجام مع المجتمعات الساحلية الأخرى في زنجبار ومسقط[٦٥].

ويجدر بالذكر أن المجتمعات التجارية عامة كانت تمارس حياتها الدينية والتقليدية التي كان يتم فيها الزيادة والنقصان في أوقات مختلفة وذلك منذ القرن الحادي عشر الهجري الموافق للقرن السابع عشر الميلادي. ولا شك في أن هذه الطائفة الشيعية كانت لديها هيكلة السلطة الدينية والسياسية المتميزة والأطر القانونية، وكانوا يحافظون عليها ويعيشون من خلالها في حياتهم الاجتماعية والاقتصادية والتجارية. وعلى كل حال فالتجمع التجاري والديني ساعدهم على تشكيل شبكة خاصة للتواصل التجاري والاقتصادي، والتي كانت مبنية على الثقة والمسؤولية، وأي محاولة لانتهاك سيادة هذه الثقة كانت تقودهم دائمًا إلى عملية طرد الشخص غير الموثوق فيه من هذه الشبكة التجارية المشتركة المتعاونة مع بعضها بعضًا[٦٦].

أما أنماط التوزيع السكاني التي نجدها في هذه المجتمعات التجارية؛ فكانت تختلف من فترة لفترة لاسيما في تاريخ المناطق الساحلية الهندية الغربية مثل الكجرات وكجة. وعامة كانت الجالية الهندوسية تحافظ على الاتصال المستمر والتفاعل مع وطنها الأصلي، ولم يكونوا يتحملون مشاق العزلة الطويلة عن وطنهم الأصلي. أما الخوجات فكان انتماؤهم إلى الوطن يبدأ بالانخفاض تدريجيًّا بعد الهجرة منه، وكل ما كان يبقى منهم للوطن هي أسماؤهم ومقابرهم ومؤسساتهم الدينية[٦٧]، وقد كان يحدث ذلك معهم بصورة عامة؛ لأن كثيرًا منهم هاجروا من الكجرات وعامة فما كانوا يفكرون في العودة إلى وطنهم، إنما استقروا في هذه المناطق الساحلية التي هاجروا إليها وجعلوها لهم مسكنًا ومدفنًا.

- **مستعمرات طائفة الخوجة في مسقط وزنجبار:**

ومن المعلوم تاريخيًّا أن المجتمعات الكجراتية بصورة عامة كان لها إسهام كبير في تنشيط التجارة العالمية منذ زمن سحيق، فكانوا يشاركون في النشاطات

التجارية في المحيط الهندي. وقد أدت طبيعة تنظيماتهم التجارية والاجتماعية إلى وضع نمط عجيب للهجرة والاستيطان في مناطق غرب المحيط الهندي. وبعد الانطلاق إلى هذه المناطق تمكنت هذه المجموعة التجارية الكجراتية من إنشاء الشبكات التجارية بين الدول الشرقية والإفريقية، لاسيما بين منطقة كجه ومسقط وزنجبار، وفطنتهم التجارية ساعدتهم على المشاركة في النشاطات التجارية بنجاح تام والحصول على الموارد المالية لتواصل العمل التجاري[٦٨].

وكانت جميع هذه التجمعات التجارية من الهندوس والمسلمين تحمل هوية واعية في النشاطات التجارية، وكانوا راسخين في مجال الأعمال التجارية. وكثيرون منهم هاجروا إلى مسقط واستقروا فيها ووجدوا فيها فرصًا جيدة لعملية التجارة المربحة، وهذا الأمر دفعهم إلى التردد على هذه المنطقة والاستقرار فيها. وفي حقيقة الأمر كانوا في موطنهم الأصلي لاسيما في كجه يعانون من المشكلات المناخية من الفيضانات أحيانًا والجفاف أحيانًا أخرى، إلى جانب وجود التربة الفقيرة غير الصالحة للزراعة، والزلازل والمجاعات، مما كان يدفعهم إلى البحث عن فرص للمشاركة في النشاطات التجارية خارج وطنهم. ومن الناحية الأخرى، كان الوصول إلى الطرق البحرية المؤدية إلى مسقط والموانئ الأخرى الواقعة في الخليج العربي سهلًا بالنسبة لهم؛ وذلك لأن أبواب التجارة في هذه الأماكن كانت مفتوحة للجميع[٦٩].

ويجدر بالذكر أن معظم الخوجات الذين هاجروا إلى مسقط واستقروا فيها في فترة العصور الوسطى المتأخرة، كانوا ينتمون إلى منطقة كجه والسند. وحول هجراتهم الطويلة توجد وثائق في السجلات البريطانية وتقاريرها، وهناك وثيقة تفيد: «لقد استقر هؤلاء التجار في مسقط بصورة نهائية؛ وذلك إما بأنفسهم أو أسلافهم هاجروا إليها واستقروا فيها، فهم أصبحوا من ورثتهم... ولديهم أراضٍ وعقارات ومساكن في عمان وذلك منذ فترة طويلة، ومع مرور الزمن اختلطوا

مع السكان الأصليين من البلاد من خلال مشاركتهم في النشاطات التجارية، والشؤون البلدية والمالية، وفي الأعمال المصرفية العامة ومن خلال التعامل مع الجميع ...»[٧٠].

ولقد استقر معظم الخوجات مع أسرهم في مطرح الواقعة على بعد ثلاثة أميال من مسقط، وكان ولا يزال يطلق عليهم اللواتية أو اللوتيان (Lootyanas or Luwatiyas). وكانت منطقة مطرح تربط مسقط بساحل الباطنة الذي كان يعتبر آنذاك من أكبر المراكز التجارية المهمة. وكانت الجالية الهندوسية «بنيا أو بنيان» عامة يقيمون فوق متاجرهم، في حين كان التجار الخوجة يأتون إلى متاجرهم الواقعة في السوق في مسقط ومطرح، حيث إنهم قاموا بإنشاء المنازل لهم لاسيما في مطرح[٧١].

فكانوا ينتقلون يوميًا من مطرح إلى مسقط في قوارب عامة، في حين كان بعض منهم يمتلك القوارب الخاصة بهم، وبعضهم الآخر يأتون ويذهبون من خلال قوارب وزوارق عامة[٧٢]. وكانت الجماعة الخوجية أنشأوا لهم جماعت خانة في داخل السور لممارسة النشاطات الدينية والثقافية. وكذلك كانت لهم تجمعات في أماكن أخرى في الخليج العربي مثل «يزد»، و«بندر عباس»، و«كرمان»، و«لنجة» أي بندر لنكه بالفارسية وهي مدينة تطل على ساحل الخليج العربي، إلى جانب المراكز التجارية الهندية الرئيسة في مسقط والبصرة والبحرين[٧٣].

وتشير الوثائق البريطانية أيضًا إلى وجود عدد كبير من التجار الكجراتيين لاسيما من منطقة «كجه» الكجراتية في الخليج العربي، وممارستهم الأعمال التجارية مع نظرائهم السنديين. وتشير هذه الوثائق أيضًا إلى وجودهم في بندر عباس، وطبقًا للإحصائية الموجودة في هذه الوثائق كانت هذه المجموعة تتكون من ستين خوجة، وخمسة وأربعين بنيانيًا من منطقة شيكابور وكجه، الذين يطلق

عليهم «شيكابوري بنيان»، و«كجي بهاتية». وكان معظمهم يعملون وكلاء للشركات التجارية الموجودة في السند ومومباي(٧٤).

وكان عدد كبير منهم استقر في شرق إفريقيا في دول موزمبيق، ومدغشقر وغيرهما. ولعل أكبر عدد من هؤلاء التجار الهنود في مدغشقر كان يتكون من الخوجة والبهرة الذين كان يطلق عليهم «كراني» أي التجار المسلمون الهنود(٧٥). ويعتبر هؤلاء التجار الخوجية من أول الوافدين في وقت مبكر إلى سواحل شرق إفريقيا(٧٦). وفي منتصف القرن الثامن عشر الميلادي استقرت أول دفعة من الشيعة البهرة من سورت الكجراتية في زنجبار(٧٧). ثم قاموا بعد ذلك بإنشاء المحطات التجارية الأخرى لهم على السواحل الإفريقية الشرقية بين جزر «لامو Lamu»، و«بات Pate»، في حين انتقل بعض منهم إلى شمال مومباسا واستقروا فيها(٧٨). أما أتباع الآغا خان فجاءوا مع عائلاتهم إلى هذه المناطق ووصلوا إلى شرق إفريقيا في وقت مبكر عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م، واستقروا فيها لاسيما في زنجبار ويشكل عددهم نحو ١٠ في المئة من سكان البلد إلى عام ١٢٧٨هـ/١٨٦١م. وكان معظمهم يمتلكون المتاجر والوكالات التجارية(٧٩).

وكان الخوجات من كاتيهوار وكجه الهندية أكثر جالية هندية شيعية تحب الاحتكاك والاندماج والانسجام مع المجتمعات الأخرى المستقرة في شرق إفريقيا بالنسبة للآخرين. وهذا الأمر بطبيعة الحال ساعدهم على تفعيل نشاطاتهم التجارية وإيجاد العلاقات التجارية مع التجار المحليين والأجانب على حد سواء، ما أدى إلى توفير الفرص للحصول على النفوذ والثروة المالية الكبيرة(٨٠). وبعد استقرارهم نهائيًّا في هذه المناطق اتخذوا لهم مقبرة كبيرة في كينيا الحالية (Kiz-ingo) المجاورة لمدينة تنزانيا الحالية(٨١). وتجدر الإشارة إلى أن الجالية العربية ووهيند وبنيان كانوا يمثلون الطبقة العليا والوسطى من المجتمعات الزنجبارية(٨٢).

وكانت هذه الطبقات الاجتماعية تملك العقارات والأراضي الزراعية والسفن وكانت لها مشاركات فعالة في النشاطات التجارية المحلية والعالمية[٨٣]. ومن الملامح المهمة في زنجبار وهي المدينة نفسها وما يوجد في داخلها من الشوارع الضيقة الممتدة، والمحلات الصغيرة، والنوافذ والأبواب المنحوتة، والبازارات والمشربيات التي تختلط جميعًا وتعكس الضوء والظلال، وهي كلها تؤكد على وجود تأثيرات الطراز الشرقي التقليدي المعتاد، وتدل على استقرارهم وتأثيراتهم في الحياة الاجتماعية والدينية والاقتصادية[٨٤].

ونستطيع التأكيد على ازدياد نسبة الجالية الخوجية في زنجبار من خلال تقرير القنصل البريطاني جون كرك (John Kirk) الذي تم إعداده في عام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م. فمن بين إجمالي عدد السكان الهنود في زنجبار وضواحيها البالغ ٣,٦٥٧، كان عدد الخوجة بلغ حوالي ٢,٥٥٨ في مدينة زنجبار وضواحيها آنذاك. ويشير التقرير أيضًا إلى وجود ٥٣٥ أسرة خوجية و٧٠٠ من الإناث المتزوجات بين سكان زنجبار، في حين كان عدد أسر خوجية في عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م منحصرًا على ١٦٥ أسرة من بينها ٢٦ من النساء المتزوجات. وهذه الإحصائية تؤكد على أن الخوجات تضاعف عددهم ست مرات بين عام ١٢٥٦هـ/١٨٤٠م، وعام ١٢٨٧هـ/١٨٧٠م[٨٥].

وعلاوة على ذلك كانت الأسر المستقرة في زنجبار في حالة من الازدياد والتكاثر نسبيًا، وذلك لأن معظم الأسر الخوجية هاجرت من كجه واستقرت فيها[٨٦]. وكانت الأسر الخوجية الباقية تتكون من ٤٥٨ من الخوجات بما فيهم النساء والأطفال. وفي مدينة زنجبار فقط بلغ إجمالي عدد السكان حوالي ٢٢٢٥ في عام ١٢٩٠-١٢٩١هـ/ ١٨٧٣-١٨٧٤م[٨٧]. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الهنود عامة كانوا يفضلون البقاء والاستقرار في مدينة زنجبار نفسها عن المناطق والضواحي الأخرى[٨٨].

وكان التوزيع السكاني يختلف من مكان إلى آخر على أراضي زنجبار؛ وذلك بالنسبة للهنود، حيث كان الهندوس البهاتية في بعض الأمكنة يشكلون غالبية السكان، في حين كانت الغالبية المرتفعة بعض الأماكن كانت من السكان الخوجات. أما بنيان فكان لهم أكثرية في دار السلام بالنسبة للمسلمين[٨٩]. وعادة كان الخوجات وبنيان لا يفضلون القيام والاستقرار معًا في منطقة واحدة أو في مدينة أو في حي واحد، بسبب الاختلافات الدينية والاجتماعية. فمثلًا في مدينة «Kidmango» كانت هناك تسعة منازل للخوجات وكانت تقع في جانب المستنقع وكانت البيوت للبنيان والبهاتية تقع في الناحية الأخرى[٩٠].

وكانت الأسر الخوجية أيضًا لا تفضل أن تتخذ لها منازل في ساحل مريما في زنجبار، على الرغم من أن هذه المنطقة كانت تعتبر من المراكز التجارية المهمة، وذلك لأنهم لا يحبون بناء السكن في الأماكن والأسواق التجارية، وكان ساحل مريما معروفًا بالنشاطات التجارية وليست للسكن. وخلاصة القول إن التوزيع الجغرافي للسكان الخوجية كان مبنيًا جزئيًا على المخاوف والأمن والسلام والهدوء؛ لأنهم كانوا يفضلون الاستقرار مع أسرهم أينما يحلون للتجارة[٩١].

ومن خلال المعرفة عن الأحوال الديمغرافية للمدن الساحلية الأخرى في هذه المنطقة نجد هذا التباين، فعلى سبيل المثال، في مدينة كلوا الساحلية[٩٢]، كانت هناك ٥٩ أسرة خوجية و٣ ميمنية، و٢٥ بهاتية[٩٣]، أما في مدينة باجامويو[٩٤]؛ فكان يوجد فيها ١٨ أسرة خوجة و١٩ بهاتية[٩٥]. وهكذا فنرى أن جميع الموانئ الكبيرة كان يوجد فيها ممثلو جميع الطوائف الدينية، بل وفي الغالب كان يوجد لهم ممثلون حتى في الموانئ الصغيرة. وكانت للخوجات تجمعات أكثر في الجزائر والبر الرئيسي من المناطق الاستوائية[٩٦].

ولمزيد من التوضيح نذكر عدد التجار الهنود الذين سكنوا في مدينة زنجبار في القوائم التالية :

القائمة الأولى[٩٧] : تتعلق بعدد التجار الهنود سكان مدينة زنجبار لعام ١٨٧٠م :

الطائفة الدينية	عدد الذكور	عدد الإناث	العدد الإجمالي
الهندوس	200	0	200
الخوجا	1400	700	2100
البهرة	75	65	140
العدد الإجمالي			2440

القائمة الثانية[٩٨] : تتعلق بعدد التجار الهنود سكان مدينة زنجبار عام ١٨٧٣-١٨٧٤م :

الطائفة الدينية	عدد الذكور	عدد الإناث	عدد الأطفال	العدد الإجمالي
الهندوس	314	0	0	314
الخوجا	850	650	725	2225
البهرة	109	78	131	318
الميمن	15	10	16	41
العدد الإجمالي				2898

ويجدر بالذكر أن منطقة زنجبار شهدت تدفقًا كبيرًا من المهاجرين الهنود في الجزء الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي. ومنذ عام ١٢٧٦هـ/١٨٥٩م بدأ الخوجات يستقرون في المناطق الجديدة الواقعة في زنجبار. وحسب بعض الباحثين الأوربيين كانت السفينة «بكيلا»، وهي نوع من أنواع السفن الهندية، عامة تجلب الأسر الخوجية من منطقة كجة للاستيطان في زنجبار والمناطق الساحلية الإفريقية. وهؤلاء الخوجه بعد وصولهم إلى زنجبار استقروا نهائيًا ولم يفكروا هم وأطفالهم في العودة إلى موطنهم الأصلي، ما أدى إلى أن أطفالهم ما كانوا يعرفون غير اللغة السواحلية؛ لأنهم ولدوا وترعرعوا فيها[٩٩]. وكانت عملية الدفع والجذب في المجتمع الكجراتي أيضًا من العوامل المهمة لقيام الخوجات بالنزوح المتزايد من المناطق الكجراتية إلى زنجبار، فمن خلالها كانوا يشجعون بعضهم بعضا على الهجرة إلى هذه المناطق التجارية للمشاركة في النشاطات التجارية والحصول على مستقبل أفضل[١٠٠].

وعلى الرغم من أن الخوجة من خلال مشاركاتهم الفعالة في النشاطات التجارية صاروا أغنياء وتجارًا ناجحين، إلا أنهم كانوا ولا يزالون يميلون إلى البقاء تحت رعاية جماعت خانه وإشرافها؛ لأنهم يجدونها إطارًا محكمًا وبنية متماسكة للحفاظ على هويتهم الدينية والاجتماعية. وهذا ما حدث معهم بالضبط خلال هجراتهم المستمرة إلى مسقط وزنجبار، حيث إنهم اهتموا بإنشاء المساكن الخاصة بهم بعيدًا عن الجاليات الأخرى وكان الغرباء يتم منعهم من الدخول إليها كما ذكرت في الصفحات السابقة[١٠١].

ولما كانت النشاطات التجارية والتعامل مع التجار والبضائع العامة مهنة أساسية وتقليدية بالنسبة للخوجات، قام هؤلاء بإنشاء مجموعة من المؤسسات التجارية والاقتصادية فضلًا عن إنشاء المساكن للجماعة. وفي عام ١٢٥٤هـ/١٨٣٨م قام الخوجات الإسماعيلية بإنشاء أول جماعت خانه في زنجبار. أما طائفة الاثنى

عشرية فقاموا بإنشاء أول مسجد باسم قوة الإسلام والحسينية في زنجبار، وذلك تحت إشراف قائدهم الديني الحاج ديوجي جمال وذلك في عام ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م. وفي وقت لاحق تم بناء سلسلة من المساجد والمنشآت الدينية الأخرى في جميع أنحاء المستوطنات الواقعة في شرق إفريقيا(١٠٢).

ولدى وصولهم إلى مسقط وما حولها ومنطقة زنجبار والاستقرار فيها، أدرك الخوجات أنهم سوف يتعرضون للتأثر بالعوامل والتأثيرات الدينية والاجتماعية المتنوعة، ومن هنا قاموا بدعم تقوية خصائصهم وميزاتهم والحفاظ عليها وبشدة وإصرار؛ وذلك في إطار الجمعيات الدينية المحكمة الخاصة بهم(١٠٣). وهكذا، نستطيع القول: إن الجماعة الخوجية حافظت على هويتها الدينية والاجتماعية، وكذلك على عاداتها وتقاليدها الثقافية الموروثة، وقامت بتنظيم نفسها من خلال الجماعة الدينية الخاصة بها.

- **النشاطات التجارية:**

وعلى الرغم من أن الخوجة خرجوا عن دينهم وعقائدهم الهندوسية واعتنقوا الدين الإسلامي، إنما لم يفعلوا ذلك مع حياتهم المهنية والحرفية والتجارية، وفي الواقع التمسك بالدين الجديد والالتزام به وبفكره الديني والثقافي لم يعُقهم عن كسب الثروات والأموال من خلال المشاركة في النشاطات التجارية. فكانوا قد استمروا في مهنتهم وتجارتهم على الشواطئ المحلية والملاحة، كما كانوا يفعلون قبل دخولهم إلى الإسلام. فكانوا مثل البهاتية ولوهانا، يشاركون في النشاطات التجارية وكانت لهم إسهامات فيها على المستوى المحلي والعالمي آنذاك. وكانوا يمارسون جميع النشاطات التجارية مثل جلب الحبوب والمواد الغذائية، كما كانوا يقومون باحتراف أعمال التطريز والبناء، وتفوقوا على التجار البهاتية في ذلك، لا سيما في مسقط وزنجبار في النشاطات التجارية(١٠٤).

وسرعان ما صاروا من أصحاب المتاجر والتجارة وشركات صناعة السفن إلى جانب كونهم حرفيين في أشياء عديدة. وكانوا يشاركون في تجارة الغزل والنسيج، والحبوب والتمور، ومع الوقت صار لهم احتكار لتجارة الأسماك المجففة من مسقط إلى البلدان والمناطق الأخرى، حيث كان التجار الهندوس يتجنبون هذه التجارة لأسباب دينية[١٠٥]. وحسبما وصفهم بعض المستشرقين، فكانوا بارعين في تجارة الأسماك، واللحوم، والمواد الغذائية والخضراوات، والأدوات المعدنية وغيرها، إلى جانب كونهم حرفيين في صناعة الأحذية، وملاكًا للمحلات التجارية التي كانت تصنع الخرز والمجوهرات والحلي وغيرها[١٠٦].

حتى أنهم كانوا يمتلكون أراضي وعقارات في مسقط، وكانوا مهرة في تجارة السلع المصنوعة من العاج والأحجار الكريمة وتبادلها مع الآخرين، إلى جانب البهارات الهندية والعربية مثل القرنفل والعلك، والتمور والقهوة وغيرها، وكذلك شاركوا في تجارة الرقيق، والحلي والمجوهرات، وبعض منهم كانوا يمارسون أعمال الاستثمار والتمويل وتقديم القروض بالفوائد إلخ. وبسبب نشاطاتهم التجارية وإسهاماتهم في عملية التجارة، كسبت منطقة الكجرات سمعة جيدة باعتبارها أرض رجال الأعمال والتجار الناجحين الذين لهم دور ريادي في التجارة المحلية والدولية. ومن خلال نشاطاتهم التجارية حققوا نجاحًا ملحوظًا في تمثيل الشركات الهندية في الخارج. ويرجع لهم الفضل أيضًا في عملية توسيع نطاق الأجنحة التجارية الهندية في الخارج[١٠٧].

ولا شك في أن العلاقات التجارية المتنامية القوية بين مسقط والهند منذ بداية القرن التاسع عشر الميلادي، وفرت فرصة عظيمة للتجار في غرب الهند، لاسيما للتجار المقيمين في منطقة كجه، وكاتهيوار الكجراتية. فكانوا يأتون معهم بالبضائع المتنوعة من القطن، والأخشاب، والأرز، والسكر، والتوابل، والسمن والمنتجات الهندية

الأخرى، وذلك للاستهلاك المحلي أو إعادة تصديرها إلى البلدان العربية والأوربية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط عبر طريق البحر الأحمر(١٠٨).

حقيقة أن النشاطات التجارية بين مسقط وكجه بدأت تزيد منذ عام ١٢١٥هـ/١٨٠٠م. وكان التجار من كجة مرتبطين بشكل كبير مع الشبكة التجارية الموجودة في الخليج العربي والتي توصل البضائع التجارية من خلاله إلى كثير من الموانئ التجارية. ونشاطاتهم التجارية في الهند نفسها أدت إلى توفير فرص عمل للمناطق الهندية الأخرى وإرسال منتجاتها عبر الموانئ الواقعة في الكجرات، وبومباي، ومالابار(١٠٩).

وذكر الموظف البريطاني في تقريره الذي أصدره في عام ١٢١٩هـ/١٨٠٤م أن مدينة مندوي وميناءها مركزة على التجارة العربية ودول شرق إفريقيا، فكانت هذه المنطقة وغيرها الواقعة في كجه توفر الجو الملائم والتسهيلات للنشاطات التجارية مما يحض التجار الهنود والعرب وغيرهم على السعي إليها وممارسة عملية التجارة من خلالها. فكانت البضائع التجارية المستوردة بعد وصولها إليها يتم توصيلها إلى المناطق الهندية الأخرى مثل ماروار في راجستهان، والملتان والسند، وهذه النشاطات التجارية أدت إلى ازدهار الشبكة التجارية داخل الهند وخارجها(١١٠).

وكان التجار من منطقة كجه يقومون بتصدير منتجاتهم مثل حجر الشب أو الشبة للأغراض التجميلية، والقطن الأزرق وغيرها(١١١). وفي المقابل كانوا يجلبون المنتجاب من الخليج العربي وزنجبار والخليج العربي، وبإعادة تصديرها إلى الدول الآسيوية المحيطة بالقارة الهندية. وكانت السفن العربية والكجية التجارية تتردد في مياه بحر العرب لنقل البضائع التجارية بين مسقط وكجه ما أدى إلى انتشار شبكة المصارف ونظام التمويل في نطاق واسع في هذه المناطق التجارية(١١٢).

ويبدو أنه كانت هناك منافسة شديدة بين التجار الهنود وغيرهم وكان لكل مجتهد نصيب في احتكار التجارة المحلية والعالمية آنذاك. ومنهم البهاتية والخوجة الذين شكلوا مجموعة نشطة من التجار الرئيسين الذين كان لهم احتكار كبير لجلب بعض البضائع وتوزيعها في السوق مثل الملابس الهندية والسلع والبهارات. وكانت تجارة البن المربحة عامة في أيدي الهنود، وعلاوة على ذلك كانوا مسيطرين على تجارة الأحجار الكريمة التي كانت تصنع في الخليج العربي. وفي عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م بلغت تجارة الأحجار الكريمة لاسيما اللؤلؤ إلى ١٥٠,٠٠٠ دولار أمريكي سنويًا. فكانت الأحجار الكريمة واللؤلؤ والقهوة يتم جلبها إلى مسقط ومنها يتم تصديرها إلى الأماكن الأخرى. ومن خلال وسيلة نقل القهوة كان يتم نقل ثمانٍ أو عشر أو أكثر من الحمولات الكبيرة بين مسقط واليمن[١١٣].

ولما كان الهنود من البهاتية والخوجة محتكرين لتجارة الأحجار الكريمة، فقد استفادوا من أرباح تجارتها وإدارة شؤونها؛ وذلك لأن لهم حضورًا قويًا في هذه التجارة في البحرين، ومسقط، وبندرلنكه أي مرسى. وهؤلاء التجار ما كانوا يمتلكون معظم القوارب والسفن فحسب؛ بل كانوا يحتكرون تجارة البضائع في الأسواق المحلية من الملابس والمواد الغذائية التي كانت من ضروريات صيادي الأحجار الكريمة[١١٤].

وكان نظام الائتمان بيد الهنود، حيث إنهم كانوا يقومون بدعم الاحتياجات المصرفية المختلفة للتجار الكبار والصغار والمتوسطين من خلال تقديم تسهيلات ائتمانية في النشاطات التجارية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن الهنود أيضًا كان لهم احتكار على شبكة تجارة التمور. وكان بعض الطوائف الاجتماعية الهندوسية من منطقة كجه يجلبونها معهم إلى الهند ويوزعونها على التجار المحليين. وعادة كانوا يشترون التمور على أشجارها؛ وذلك إما من خلال الوكلاء الخاصين بهم أو الوسطاء التجاريين. وكان يتم دفع الثمن من خلال نظام تمديد الائتمان على ذلك[١١٥].

وفي عام ١٢٨٣هـ/١٨٦٦م قام الأمريكي وليم جيك تويل (William Jack Towell) بتأسيس شركة في مسقط لتصدير التمور من مسقط إلى أمريكا، لكن لم يتمكن من السيطرة على السوق لفترة طويلة، بسبب وجود التجار الهنود فيها الذين كانوا على اتصال مباشر مع المحتكرين والمشترين الأمريكان، ومن هنا صاروا بالنسبة له أكبر منافس في سوق التمور[١١٦]. ومثل التجار البهاتية كان الخوجة أيضًا يسيطرون على الشؤون التجارية في مسقط. وفي الوقت نفسه كان هناك تنافس بينهما في النشاطات التجارية في الخليج العربي والمحيط الهندي. وعلى الرغم من أن السيطرة التجارية للبهاتية تلاشت وضعفت مع الوقت، إلا أن الخوجات لا يزالون يقيمون في المساكن الخاصة بهم في مطرح ويسهمون في التجارة الداخلية والخارجية بنشاط كبير في رعاية سلطنة عمان[١١٧].

وإلى جانب قيام الخوجات باختيار مسقط ومناطقها التجارية، فقد وصلوا أيضًا إلى زنجبار واستقروا فيها كما ذكرت بالتفصيل في الصفحات السابقة، وذلك للمشاركة في التجارة وبناء المستوطنات لهم ولأبنائهم في المستقبل. وقد اختاروا زنجبار؛ لأنها منذ أواخر عام ١٢٤٦هـ/١٨٣٠م صارت هذه المنطقة الوجهة التجارية وكانت تجتذب أنظار جميع التجار الأوربيين والأمريكان والعرب والهنود وغيرهم للمشاركة الفعلية في النشاطات التجارية لتصدير المنتجات من المناطق الاستوائية الإفريقية مثل العاج، والقرنفل، والعلك، وجوز الهند، والسمسم، والأعشاب الطبية، والتبغ، وقذائف السلاحف، وجلود الحيوانات وغيرها[١١٨].

وكان التجار الهنود يقومون بتمويل المستوردين لجلب هذه البضائع والسلع التجارية إلى الهند، وهؤلاء المستوردون يحصلون على الأرباح من خلال توزيع السلع القطنية، والخرز، وأدوات حديدية، والبنادق، ومن خلال تجارة الرقيق. وعلى الرغم من أن دخول المؤسسات التجارية الأوربية والأمريكية كان يؤدي في كثير من الأحيان

إلى تنشيط المنافسة مع التجار الهنود، إلا أن الأخيرين كانوا يحتفظون بالسيطرة على مجال الاستيراد والتصدير. وفي بعض المناطق الداخلية التي ما كان يوجد فيها حضور للتجار الأوربيين، قام التجار من منطقة كجه بتقوية حلقة وصل حيوي مع المناطق الهندية التجارية[١١٩].

وهكذا كانوا قادرين على تخصيص المناطق الخاصة لتنمية تجارتهم وازدهارها وشق الطريق التجاري لهم. وكانت عملية التجارة مزدهرة في كجة، ومسقط، وزنجبار وغيرها والتي كانت تتم من خلال شبكة من التجار والشركات التجارية وعملائهم. وكان هؤلاء العملاء يقومون بأداء مهام عديدة على رأسها معالجة شحنات غير معبأة وتخزين المواد التجارية، وإدارة شؤون المبيعات، وترتيب الشحنات إلى الخارج. وكان التجار البهاتية والخوجة والبهرة يتعاملون مع الشركات متعددة الأبعاد؛ وذلك معتمدين على الشبكات التجارية التي كان يتم تنظيمها عبر مشاركة أفراد عائلاتهم وعشيرتهم وجماعتهم[١٢٠].

وقد قام بعض الرحالة بتحليل عملية تجارة الخوجة وفطنتهم التجارية التي وسعت وكالاتهم التجارية خارج الهند. فقد شاهد الرحالة ريتشارد بيرتون (Richard Burton) جميع البضائع التجارية في متجر أحد الخوجة، وتابع نشاطاته التجارية في البيع والشراء، وفي نهاية المطاف وجد بأنه قد باع كل ما في حوزته من خرزة إلى رزمة القماش[١٢١]. وفي الواقع كان السر وراء كفايتهم ونجاحهم في مجال التجارة أنهم نشأوا على السمعة التجارية من خلال ممارسة النشاطات التجارية بالنزاهة والمثابرة.

وكما ذكرت آنفًا أن زنجبار ودول شرق آسيا شهدت تدفق التجار الذين جاءوا من كل أنحاء العالم آنذاك، وذلك بسبب ازدهارها تجاريًا واقتصاديًا وبسبب وجود السلع التجارية الخاصة، ومنها العاج الذي كان يحتل مكانًا بارزًا بين السلع التجارية

بسبب جودته، وكانت زنجبار ودول شرق إفريقيا تعتبر نقطة مركزية لتجارته[١٢٢]. وكان للتجار الهنود من منطقة كجه دور ريادي في نقل العاج من المناطق الداخلية إلى الساحل ومنها إلى الهند وأمريكا وأوربا. وكان ميناء ماندوي في الهند معروفًا بتجارة العاج من دول شرق إفريقيا[١٢٣].

وكانت القافلة التجارية تتكون من مجموعة من المشاركين من المسؤول المباشر إلى الحمالين الذين كان يطلق عليهم بكازي (Pagazi) باللغة السواحلية. ومع أن المولين أو رعاة القوافل التجارية من مناطق كجة كانوا يشاركون في النشاطات التجارية بصورة غير مباشرة، إلا أنهم كانوا يؤدون دورهم الريادي والحاسم في توفير رأس المال وجمعه لشراء السلع التجارية للتبادل التجاري[١٢٤].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الطلب الأساسي للتبادل التجاري زاد على السلع الأساسية مثل الملابس والخرز والأسلحة[١٢٥]. وكان التجار المستثمرون من منطقة كجه إما يقومون بترتيب الرحلات التجارية على حسابهم الخاص أو يشاركون مع القافلة التجارية مع تقديم الأموال مسبقًا لترتيب الرحلة. وبسبب نشاطاتهم التجارية وكفايتهم العالية في التجارة حصل بعض من الهنود على لقب «ملوك العاج الإفريقي»، ومنهم على سبيل المثال التاجر الخوجي تاهريا توبان كان قد حصل على هذا اللقب، وفي وقت لاحق حصل عليه التاجر الخوجي الآخر هو حاجي بارو، وعلاء الدين وسرام أيضًا، والذين حصلوا على الثروات الطائلة من خلال تنظيم القوافل التجارية من باجامويو[١٢٦].

وإلى جانب السلع التجارية المذكورة أعلاه، كانت هناك سلع أخرى مثل قرون الأبقار والثيران ووحيد القرن التي كان عليها طلب جيد في الأسواق التجارية في الخارج، إنما كان التجار الهندوس يتجنبون تجارتها بسبب القيود الدينية والثقافية. وكان تجار بنيان أيضًا لا يسمحون لأحد بنقل هذه السلع على متون

سفنهم التجارية[١٢٧]. ومن هنا كانت تجارة هذه السلع تقتصر على التجار المسلمين الهنود[١٢٨].

وعند النظر في النشاطات التجارية نجد أن الدين والعقائد الدينية كان لها تأثير قوي في التجارة، فمثلًا مع أن الخوجا مسلمون وأكلة اللحوم لم يكن لديهم مانع في التعامل مع المنتجات الحيوانية من ضمن السلع التجارية، إلا أنهم كانوا يرفضون رفضًا باتًا تجارة لحوم الخنزير والخمور، وذلك بسبب وجود التأثير الديني الإسلامي في ثقافتهم. بل كان بعض منهم ربما سيرًا على التعليمات الإسلامية، يمتنعون عن قبول القروض والديون. وعامة كان الخوجة متخصصين في تبادل السلع التجارية، ومن ثم أثروا في الحياة التجارية في الهند وخارجها، ومن خلال النشاطات التجارية اكتسبوا ثروات هائلة مما مكنهم من تيسير أسباب الحياة المترفة والناعمة والرقيقة التي كانت تظهر من خلال حياة البذخ لهم عبر ارتداء الثياب الفاخرة مثل التجار العرب الأغنياء والأكل والشرب والسكن الفاخر[١٢٩].

وكانت النساء الخوجيات تزين نفسها بالمجوهرات الغالية باهظة الثمن[١٣٠]. وهنا كان الفرق يظهر جليًا بين الطائفتين من التجار مما يستحق ذكره، حيث إنه في حين كان الهندوس يعتقدون في الحياة البسيطة المتواضعة، كان الخوجا يتباهون بثرواتهم وأموالهم، وهذا الأمر كان يؤدي في كثير من الأحيان إلى وقوع حوادث سرقات متكررة في منازلهم وأحيائهم في زنجبار. وكذلك كانت تحدث عملية السلب والنهب لنسائهم في الشوارع، ما دفعهم إلى تقديم الشكوى للسلطان العماني لتوفير الأمن والسلام المناسب لهم ولمنازلهم في هذه المناطق التجارية[١٣١].

وتنعكس حياتهم الاجتماعية المتماسكة المترابطة من خلال مساعيهم المهنية؛ حيث إنهم كانوا ولا يزال يقدمون المساعدات المالية لإخوانهم الخوجة مع محاولة إقناعهم بالهجرة من المناطق الكجراتية إلى زنجبار وغيرها من المناطق الساحلية

التجارية للمشاركة في النشاطات التجارية العالمية. وليس هذا فقط، بل مكنت الخوجا والبهاتية الموارد الهائلة التي كانت تحت تصرفهم من تأسيس المراكز الاقتصادية في ولاية كجرات، ومسقط، وزنجبار. وهذه الجهات والمراكز الاقتصادية بدورها قامت بدور مهم لربط شواطئ ولاية الكجرات مع شواطئ الجزيرة العربية وإفريقيا؛ ما وفر فرص عمل للجميع من الهنود والعرب وغيرهم، وتعريف هذه المناطق العربية والإفريقية وتخصصاتها وسلعها إلى الهند والهنود[١٣٢]. وقد لا يكون من المبالغة لو قلنا إن الكجرات كانت أكثر الولايات الهندية حظًا في هذا الصدد.

- **إسهاماتهم في النشاطات الخيرية:**

منذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي بدأ الخوجات يسهمون إلى حد كبير في تطوير مكان إقامتهم من خلال إنشاء المدارس والمستشفيات وغيرها من المنشآت المدنية الخيرية؛ وذلك لإعطاء مستقبل أفضل لهم ولأولادهم. وقد ازدادت هذه الإسهامات منذ نهاية القرن المذكور نفسه حيث إنهم قاموا بإنشاء المزيد من المؤسسات الاجتماعية الراقية مثل المستشفيات والاستراحات ودور الأيتام وغيرها. وكذلك قاموا بإنشاء عدد كبير من المساجد والمدارس الإسلامية لتعليم الثقافة الإسلامية في جميع الأماكن التي استقروا فيها[١٣٣].

ومنذ العقد الأخير من القرن التاسع عشر الميلادي أخذت قضية تطوير التعليم ومحو الأمية في المجتمع الخوجي مساحة كبيرة للبحث والنقاش. وفي الحقيقة لقد شعرت الجماعة الخوجية بضرورة تحسين وضع المجتمع الخوجي عن طريق تشجيع التعليم العلماني. وهذا الأمر بدوره أدى إلى الوقوع في الصراع مع آغا خان الذي، حسب رأي بعض الباحثين، بذلت سلطته البابوية جميع مجهوداتها لمنع أتباعه من التحاقهم بالمدارس الإنجليزية ولكن دون جدوى. وفي نهاية المطاف تمكن الخوجة من شق الطريق وخروجهم من الصراع بنجاح تام. وقاموا بتأمين الأموال لتطوير

النظم التعليمية وإنشاء المدارس والكليات الحديثة ونشر التعليم الجديد في فضاء الجماعة الخوجية ما ساعدهم على تحويل مجتمع متقدم تعليميًا وثقافيًا[١٣٤].

ولتنظيم أعمالهم الخيرية قامت مجموعة من التجار النشطاء بإنشاء الصندوق الخيري لتقديم مساعدة المحتاجين ورعاية المساكين من الميزانية المخصصة لذلك من خلال جمع التبرعات في هذا الصندوق الخيري، يطلق عليه «دهرمداي» أي صندوق الصدقات الدينية والخيرية. ولا شك أن الدين والتعلق به قام بدور مهم في توجيه المجتمعات التجارية نحو المساعي المهنية، لاسيما وأنهم كانوا يأخذون معهم ثقافة المساعي الخيرية ومبدأ المساواة الإسلامي وثقافة الأعمال الخيرية الصالحة. وكان من أكبر أمنياتهم أن يحصلوا على الثواب والحسنات والأعمال الخيرية التي يقومون بها، وخير الجزاء في الحياة الأبدية بعد الموت والبعث، وكل واحد كان يتمنى أن يعيش عيشة هنية بعد الموت. وحسب اعتقادهم فالحصول على الثواب مبني على الأعمال الصالحة، وأداء الصلوات وممارسة بعض الطقوس الدينية المقررة عليهم. وكان هناك دافع آخر للمشاركة في الأعمال الخيرية وهو تجربتهم الشخصية للنضال والكفاح[١٣٥].

وبما أن الخوجات نجحوا في حياتهم المهنية في وقت مبكر لاسيما فيما يتعلق بالهجرات إلى الخارج في زمن الملاحة، ومن هنا كانوا يشجعون الجيل الجديد منهم على مواصلة النشاطات التجارية. وصار من الثقافة والعادة الدينية أن كل تاجر يخصص عشرة في المئة من فوائده المالية من أي نوع كان لوضعها في صندوق «دهرمداي». وقام هؤلاء الخوجة التجار بإنشاء المنشآت الدينية والاجتماعية بشوق ورغبة في الهند وخارجها. وكانت الجماعة من خلال هذه المنشآت ولا تزال تحافظ على القيم الأخلاقية والمعنوية والتي كانت تمثل قيمة في حياتهم الخاصة والعامة[١٣٦].

ويعتبر كل من التاجر تاهريا توبن، سيوا حاجي بارو، علاء الدين وشرام، وديو جي جمال من كبار التجار والأثرياء الذين تركوا بصمة كبيرة في أعمالهم الخيرية في شرق إفريقيا. ولا شك أن المساعي الخيرية لهذه المجتمعات تجسد علامة تجارية معينة من الإصلاحات الاجتماعية التي تميزت بسبب جهودهم الواعية للتوافق مع الاستعارة العقلانية والتقدم مع القيم الإسلامية العليا المكونة من الأعمال الخيرية والأعمال الصالحة. ونستطيع القول إنها في ضوء الإطار الإسلامي فإنه قد يتوقف هذا الأمر على تقريب القيم الإسلامية، وبعبارة أخرى، كانت نشاطات خوجا الاقتصادية والتجارية المتفوقة في الخليج وشرق إفريقيا اختصت بنهضة عامة لجماعتهم ولغيرهم[١٣٧].

- **نتائج عامة:**

يتطلب نظام هيكل الجماعة الخوجية دراسة مستفيضة من خلال النظرة الفاحصة والدقيقة. ولا شك في أنهم كانوا ولا يزالون يتمتعون بوجود تنظيم دقيق وشامل في داخل الجماعة، ما جعلهم متميزين عن الآخرين، وهم يحافظون على هذه التنظيمات الاجتماعية بحرص شديد. ويتم التحكم في بنية الجماعة الإسماعيلية تحكمًا كاملًا من جانب الإدارة الخاصة بهم، وفيها النظام الكهنوتي الثيوقراطي دون التسلسل الهرمي. أما الجماعة الاثني عشرية فلا يوجد فيها نظام الكهنوت مثل شقيقتها، ومن ثم يتمتع أعضاؤها بانفتاح وحرية بشكل نسبي. ولما كان المجتمع الخوجي قد تأسس من خلال النظم الاجتماعية والاقتصادية الأصيلة، فقد دفعتهم هذه النظم إلى المحافظة على هويتهم المتميزة والخاصة. وتنعكس هذه الصفات والهوية المتميزة على المجتمع الخوجي نفسه وتتجلى في حرصهم على تأسيس عدد كبير من المنظمات المستقلة الخاصة بهم وتطويرها، مثل إنشاء المستشفيات والمدارس والنوادي الاجتماعية والمقابر الخاصة وغيرها، ولا تعوقهم الاختلافات

المكانية ولا الزمانية في السير على هذا النظام بغض النظر عن وجودهم في بلدة صغيرة أو كبيرة.

وعلاوة على ذلك فإن نظامهم الصارم في قضية الزواج في إطار الجماعة ومع الأقارب داخل الأسرة والعائلة، إلى جانب الانتماء الوثيق بجماعت خانه، وممارسة الشعائر الدينية في المساجد المستقلة، والقيام والاستقرار في الأحياء والمساكن الخاصة بهم؛ قد أدت جميعًا إلى تعزيز الحدود الطائفية وتقويتها. وكان معظم القادة الخوجية أصحاب ثروات كبيرة وكان لهم وضع اجتماعي خاص بينهم، ومن ثم فقد كان هذا الأمر في الحقيقة عاملًا محفزًا للمبتدئ الذي لا يوجد عنده رأس مال، لأن يشارك بنجاح في النشاطات التجارية وتتحقق غاياته المرجوة، وينجح في تأمين مكانته الكبيرة بين الشخصيات المعروفة في مجال التجارة والاقتصاد، وذلك لأن الإطار المؤسسي كان مرنًا وملائمًا جدًّا وهو ما كان يساعدهم على الاستيعاب والتركيز في التجارة. أما الوضع المالي فكان يوفر لهم أيضًا الجو المناسب لتنشيط الأعمال التجارية وازدهارها، وكانت الأوقاف والمؤسسات الخيرية تساعدهم على تقوية العلاقات الاجتماعية والأسرية والتعاون مع بعضهم بعضًا.

لقد أسهم الانقسام المبدئي للمذهبين التاليين، سواء أكان ذلك على فترات متقطعة أو بشكل متزامن، في جعلهم مجتمعًا منغلقًا على ذاته مع الحفاظ على هويته الخاصة، ومن هنا فقد جعلتهم هذه الميزة المعينة أكثر مرونة وتكيفًا مع البيئة الساحلية والاستجابة للتحديات، والاحتكاك والانسجام مع غيرهم، إلا أنهم دائمًا ما كانوا يركزون على الاهتمام بالوعي بالهوية والمحافظة عليها. وفي الواقع إنهم كانوا يمتلكون الصفات الأساسية للتكيف مع المناطق الساحلية والاحتكاك مع أهاليها والاستقرار فيها. ولأنهم كانوا من أصل هندوسي ودخلوا الإسلام على يد الدعاة كما ذكرت بالتفصيل في الصفحات السابقة، فلم يتمكنوا من فصل أنفسهم

تمامًا عن العقائد الهندوسية وعاداتها وتقاليدها الدينية والاجتماعية، ولكن عملية تحويلهم إلى الإسلام جعلتهم يستقرون في أي أرض أجنبية بعد دخولهم إليها مع أهليهم وأسرهم؛ وذلك خلافًا لنظرائهم الهندوس الذين لم يفكروا في ذلك آنذاك.

ومن هنا نستطيع القول بأنه إذا كان التجار البهاتية قد أدوا دورًا كبيرًا في توسيع نطاق التجارة الهندية في مسقط وفي دول شرق إفريقيا، فقد قام الخوجات بوضع الأساس المزدوج للنشاطات التجارية إلى جانب إنشاء المستوطنات الهندية الحقيقية في هذه المناطق وغيرها، ومن ثم، وفي هذا السياق، ربما كانوا من الرواد أو على الأقل كانوا من أوائل الهنود الذين فكروا في عملية الاستيطان والاستقرار في الخارج. وهكذا كان التغير الديني يتعلق بالطبقة الجزئية الخارجية، أما على المستوى الأعمق فكانوا قد تحملوا المشاق والتحديات حول إنشاء المستعمرات الهندية في الخارج، والتي كان الهندوس يترددون عليها حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي. وخلاصة القول إن جماعة الخوجة قد أسهموا إلى حد كبير في تعزيز علاقات منطقة الكجرات مع البحر والمناطق الساحلية في عصر الملاحة.

وترمز رحلات الخوجة البحرية التجارية إلى صورة مرسومة بقطعات الفسيفساء. وكان التغير بمثابة التحولات الاجتماعية في الواقع من حيث المكان والبيئة والناس والحكومة والإدارة والحكم... إلخ. ومع ذلك فالشيء الوحيد الذي لم يتأثر خلال عملية هذه التحولات هو الهوية والقيم المطمورة في ركام هائل من الأعراف، التي يسافر بها الخوجة أينما حلوا واستقروا، والتي غرسوها خلال وجودهم في المستوطنات المألوفة، من خلال الممارسات التجارية واتخاذ نمط الحياة الخاص بهم في هذه الأماكن الساحلية.

ولا شك أنهم قد واجهوا التحديات في الاستجابة للتكيف مع التغيرات في بيئة جديدة، ولكن هذه الأماكن المضيفة صارت في نهاية المطاف مساكنهم

ومنازلهم بعد اجتياز هذه التحديات بنجاح، فجعلوها لهم مسكنًا ومدفنًا. وهنا يعبر مصطلح «التكيف» عن الاستقرار والبحث عن الوسائل لكسب الرزق والاستقرار المادي والمعنوي. أما هذه التطورات فكانت تصاحبها مشاركة في الحياة التجارية والاقتصادية، ومن ثم أسهم الخوجات عن قصد أو غير قصد - من خلال المرور بعمليات التحولات والاستيطان والاستقرار في هذه المناطق الساحلية - في تنميتها الاقتصادية ونشاطاتها التجارية.

* * * *

الهوامش والإحالات والمصادر والمراجع

(*) باحث في مركز حسن بن محمد للدراسات التاريخية، الدوحة، قطر.

(1) Chhaya Goswami, The Call of the Sea (Kachchhi Traders in Muscat and Zanzibar, c. 1800-1880) pp. 79-80.

(٢) لقد نشأت موانئ عديدة في المناطق الساحلية الكجراتية وفي منطقتها المهمة مثل الكتش أو كجه، ونذكر على سبيل المثال أسماء بعض هذه الموانئ التي أسهمت بشكل كبير في التجارة المحلية والدولية في فترة الدراسة: ميناء لاكه بور، وجكهاو، ومندوي، ومندرا، وبهوج، وأنجر، وتونا، وكهاندلا، وجام نكر في منطقة الكجه الكجراتية، أما الموانئ التجارية الأخرى في منطقة الكجرات فمنها بور بندر، وبهون نكر، وكمباية، وبروده، وبهروج، وسورت وغيرها، علمًا بأن الباحث سنحت له فرصة في عام ٢٠١٥م لزيارة بعض هذه الموانئ الواقعة في الكتش، والتي لا تزال آثارها باقية إلى يومنا هذا، للتفصيل عن دور هذه الموانئ التجارية راجع :

- James Onley, "Indian Communities in the Persian Gulf, c. 1500–1947", pp. 234-235.

(٣) ومنها على سبيل المثال، البنيان من الطائفة الهندوسية والجينية، والخوجة، واللواتية، والبهرة، والميمن من الطوائف الإسلامية، والكاثوليك والأنجليكان من النصارى. للتفصيل راجع :

- James Onley, "Indian Communities in the Persian Gulf, c. 1500–1947", pp. 233-236; Calvin H. Allen, Jr, "The Indian Merchant Community of Masqat", Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 44, No. 1 (1981), pp. 39-53.

(٤) إنه لمن المناسب في هذا المقام ومن باب الأمانة العلمية أيضًا أن أذكر بعض الدراسات الإنجليزية المتخصصة التي استفدت منها جدًّا في أثناء إعداد البحث، واستعنت بها على مدار البحث كله، ومنها على سبيل المثال :

- James Onley, "Indian Communities in the Persian Gulf, c. 1500–1947", in The Persian Gulf in Modern Times: People, Ports, and History, Edited by Lawrence G. Potter, Palgrave Macmillan, U.S, 2014, pp. 243-244; Calvin H. Allen, J r .,

"The Indian Merchant Community of Masqat", Bulletin of the School of Oriental and African Studies, University of London, Vol. 44, No. 1 (1981), pp. 39-53; J. E. Peterson, "Oman's Diverse Society: Northern Oman", Middle East Journal, Vol. 58, No. 1 (Winter, 2004), pp. 32-51; Chhaya Goswami, "Khojas: A Historical Overview of their Settlements Overseas in Gujarat and the Sea", Edited by Lotika Vardhrajan, Darshak Itihas Needhi, Noida, 2012; Chhaya Goswami, The Call of the Sea (Kachchhi Traders in Muscat and Zanzibar, c. 1800-1880), Orient Blackswan Pvt. Ltd., Mumbai 2011, pp. 79-130.

(5) Amiji, 1971, p. 28.

(6) Amiji, 1971, p. 28; Nanji & Daftary, 2002, pp. 185-187.

(7) Nanji & Daftary, op. cit, p. 28.

(١) لقد ظلت الإسماعيلية باقية في السند والملتان تحت رعاية قبيلة السامرة، فقد ثار السامريون ضد الدولة الغزنوية في عام ٤٤٣هـ/١٠٥١م، وأسسوا إمارة مستقلة، وظلوا يحكمون من «سالطة» حوالي ثلاثة قرون. راجع :

- Abbas H. Al Hamdani, The beginning of the Ismaili Dawa in northern India, Cairo, Egypt 1956, p.15.

- وقد كانت السامرة قبيلة محلية من هندوس السند، اعتنقوا الإسلام أيام الفتح العربي الأول للهند، وكثر تزاوج السامرة من العرب المستقرين هناك، وتسموا بأسماء عربية هندية مختلطة، ولكنهم بعد اعتناقهم للإسلام ظلوا محافظين على الكثير من العادات والتقاليد الهندوسية القديمة وبسبب تزاوجهم من كبار الملاك العرب في السند والملتان أصبحوا ذوي قوة ومنعة. راجع السيد مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ص٤٩، ولكن السؤال المطروح هو من أي فرقة من المذهب الإسماعيلي كانت السامرة؟ من المستعلية أو النزارية المنشقين عن المذهب الإسماعيلي؟ السامرة بعد انقسام الطائفة الإسماعيلية إلى نزارية ومستعلية ابتعدوا عن الفريقين المتنافسين وانفصلوا عنهم، وظلوا محافظين على التقاليد الإسماعيلية الفاطمية التي كان عليها آباؤهم من قبل، ولم يعترفوا بأي دعوة خارجها، إنما كانوا متعاطفين مع نزارية ومستعلية. راجع مقبول أحمد: العلاقات العربية الهندية، ص٤٩-٥٠.

(**8**) Engineer, 1988, pp. 25-26.

(**9**) Amiji, 1971, pp. 604.

(**10**) Arnold, Thomas Walker, The preaching of Islam: a history of the propagation of the Muslim faith, Second Edition, Constable, London 1913, pp. 275-276.

(**11**) Lokhandwalla, 1955, pp. 121.

(**12**) Enthoven, 1990, II: p. 217; The Imperial Gazetteer of India, 1909, 43; Amiji, 1971, p. 603.

(**13**) Hooda, 1927, p. 118.

(**14**) Allen, "The Indian Merchant Community of Masqat", pp. 48–52.

(**15**) George Badger, in charge of Muscat Zanzibar Commission to Forbes, acting Secretary to Government, Bombay, 6 June 1861, Aden, MSA, PD Vol. 33, 1861, p. 3.

(**16**) Amiji, 1971, p. 604.

(**17**) Girjir Ratansi Sapat, Bhattiyaoni prdcim sthiti, Bombay, 1899, p. 69.

(**18**) D. D. Sampat, 'Part 8: Thattha', Bhadarvo 1991, pp. 525-7; ' Part 73: Customs of the Bhattias Asadh 1992, pp. 313-16.

(**19**) Lokhandwalla, 1955, p. 121.

(**20**) Engineer, 1988, p. 38.

(**21**) Nanji & Daftary, 2002, pp. 185-187.

(**22**) Gazetteer of Bombay Presidency 1899, IX-2: p. 41.

(**23**) Amiji, 1971, p. 604.

(**24**) Nanji & Daftary, 2002, p. 185-187.

(**25**) Anderson, 1964, p. 21.

(**٢٦**) كلمة «أوم» كلمة متكونة من ثلاثة أحرف، وهي تعتبر من أهم الرموز للديانة الهندوسية، حيث إن الهندوس يعتقدون أن كلمة «أوم» هو الصوت الذي يسمعه شخص في داخله ومخيلته عندما يدخل في حالته الخاصة لدى التأمل الديني ووقت الرياضة والعبادة. وكلمة «أوم» بمثابة بسم الله... عندهم فهم يبدأون صلواتهم وعباداتهم وابتهالاتهم الدينية بها أو عندما يمارسون التأمل والرياضات الخاصة. ولمزيد من التفصيل عن هذا المصطلح الديني راجع :

- James Lochtefeld, "Om", The Illustrated Encyclopedia of Hinduism, Vol. 2: N-Z, Rosen Publishing 2002, p. 482.

(**27**) Engineer, 1988, p. 38.

(٢٨) في عام ٢٠١٤م سنحت للباحث فرصة للبحث عن المواد التاريخية والوثائق باللغات الهندية والإنجليزية في المكتبات الهندية ودور الوثائق القوية بدهلي وبومباي عن بعض الطوائف الدينية الإسلامية في الهند، وفي تلك المناسبة زار الباحث معظم المدن الرئيسة في منطقة حيدر آباد وكجه وبهوج في الكجرات وبومباي وضواحيها وقراها من أجل الدراسة الميدانية، وتمكن من زيارة المراكز البحثية والمنشآت الدينية والاجتماعية لفرق الشيعة من البهرة، والخوجة والميمن وغيرهم. وقام بترتيب اللقاءات وإجراء الحوارات مع كبار الشخصيات الذين قابلهم في جماعات خانات وفي مراكز ومؤسسات تعليمية في تلك المناطق. واستغرقت تلك الزيارة شهرًا كاملًا.

(٢٩) وطبقًا لبعض الباحثين فكانت الجماعة الإسماعلية المستعلية والبهرة يمارسون التقية حتى في الستينيات من القرن الماضي في مناطق شرق أفريقيا. راجع: Amiji, 1971, p. 29.

(٣٠) الجماعة الآغانية يتلون بعض الابتهالات أمام صور أئمتهم، وكذلك قاموا بإسقاط فرائض الدين الإسلامي ومنها أنهم لا يصومون في شهر رمضان الكريم. الباحث.

(**31**) Landen, 1967, p. 140.

(**32**) Anderson, 1964, p. 37.

(**33**) Colonel Lewis Pelly, Political Resident, Persian Gulf, to the Secretary to the Government, Bombay, No. 1643/451 of 1872, 19 October 1872, MSA, PD, Vol. IV No. 89 1872, np.

(**34**) Ibid; Translated purport of a letter from Nasir Shah Bunder, to Colonel Lewis Pelly, Political Resident, Persian Gulf, 7 May1872, MSA, PD, Vol. IV No. 89, np; C. Gonne, Secretary to the Government of India, to the Political Resident, Persian Gulf, 31 October 1872, MSA, PD, Vol. IV No. 89, np.

(**35**) John Kirk, acting Political Agent and Consul, Zanzibar, to W. Wedderburn, acting Secretary to the Government, Bombay, No. 54/167 of 1870, 18th July 1870, Administrative Report for 1869-1870, MSA, PD, Vol. No. 142, 1871, p. 16.

(36) J. N. Hollister, The Shia of India, London, 1953, 364-70; Allen, The Indian Merchant Community of Masqat, p. 51.

(٣٧) لفظ آغا يعني في الفارسية السيد ولفظ خان يعني الرئيس أو الزعيم أو القائد وآغا خان: يعني السيد الرئيس أو الزعيم وقد أطلقته الإسماعيلية النزارية على إمامهم في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي تعبيرًا عن ولائهم له. الباحث.

(38) Engineer, 1988, p. 37.

(39) Nanji & Daftary, 2002, pp. 185-187.

(40) Engineer, 1988, p. 39.

(41) Lorimer J. G. 1986, I -2: p.2378. Lorimer, J. G. 1986. Gazetteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia. Vol. I (Historical) Part I &II. Oxford: G. B. Archives Edition.

(٤٢) ونشرت هذه القضية في صورة مقال ولمزيد من المعرفة راجع :

- Judgment delivered Nov. 12, 1866 on the `Khoja Case' (Aga Khan Case), "Bombay Gazette Steam Press", 12 November 1866, pp. 323-363.

(43) Enthoven, 1990, II: p. 217.

(44) Lachaier, 2007, p. 13.

(٤٥) لقد حافظ الشيعة الاثنا عشرية على مبادئ الشيعة وأصولها للحفاظ على هويتهم المتميزة عن الطائفة الإسماعيلية. ولديهم حماس شديد باحتفال المناسبات الدينية في شهر المحرم لاسيما عاشوراء ومناسبات خاصة متعلقة بشهادة أئمتهم وغيرها. ويحتفلون بجميع المناسبات الدينية الشيعية بمنتهى البهجة والسرور؛ لأنهم يعدونها وسيلة فعالة لتعزيز القيم الاجتماعية الشيعية ولتقوية العلاقات الاجتماعية الشيعية والصداقة الحميمة. ومن ضمن هذه الاحتفالات الدينية والاجتماعية عزاداري التي لها مكانة خاصة بين المناسبات الدينية، ويمارسون بهذه المناسبات نشاطات وطقوسًا عديدة في صياغة هوية منفصلة. وللحفاظ على الهوية الشيعية الخاصة قاموا بإزالة كثير من الطقوس والتقاليد التي تمارسها جماعة خوجا معتبرين إياها من الهندوسية. الباحث.

(٤٦) وتعتقد الجماعة الأغاخانية في إمامهم آغاخان ويعدونه الوريث الشرعي للإمامة في حين أن الجماعة الاثنى عشرية والبهرة يعتقدون في البيعة على مجموعة مختلفة من الأئمة.

وكذلك تزعم الفئتان الأخيرتان أن الإمام الشيعي الأخير دخل السرداب في وقت ما وسوف يعود يوم القيامة. الباحث.

(47) Nanji, Azim, ‘Modernization and Change in the Nizari Ismaili Community in East Africa: A Perspective’, Journal of Religion in Africa 6(2), 1974, pp. 123–139.

(48) Rizvi & King, 1973, pp. 12-22.

(49) Nanji, 1974, pp. 123-139.

(50) Anderson, 1964, p. 21.

(51) Major E. C. Ross, Political Agent and Consul, Muscat, to Colonel Lewis Pelly, Political Resident, Persian Gulf, No. 175/5 of1872, 2nd April 1872, MSA, PD, Vol. IV No. 89 1872, np.

- وهناك رسالة بعث بها عبدالله إبراهيم وعبدالحسين عبدالله خوجا من مسقط في ٢٧ يناير عام ١٨٨٦م، والتي تبدي ملاحظة قيمة حول أحداث القمع والتعذيب التي مارسها أكثر من أربعمائة خوجة في مسقط ضد زوجاتهم بهدف إجبارهن على التخلي عن عقيدتهن وتقديسهن حيال آغا خان. لمزيد من التفصيل راجع :

- Acting Political Secretary to Government, to the Political Resident, Persian Gulf, Bombay Castle, No. 5850, 8 October 1886, MSA, PD, Vol. No. 98 1886, p. 25.

(52) Allen, The Indian Merchant Community of Masqat, p. 51.

(53) Asani, Ali, ‘The Khojahs of Indo-Pakistan: The Quest for an Islamic Identity’, Journal of the Institute of Muslim Minority Affairs 8(1), 1978, pp. 31–41.

(54) Enthoven, R.E., ‘Khojahs’, Tribes and Castes of Bombay, vol. 2, Government of Bombay 1922, pp. 217–230.

(55) Allen, The Indian Merchant Community of Masqat, p. 51.

(56) Masselos, J.C., ‘The Khojas of Bombay: The Defining of Formal Membership Criteria during the Nineteenth Century’, in I. Ahmad (ed.) Caste and Social Stratification among Muslims, Delhi 1973, pp. 1–20.

(57) Madelung, W., ‘Khodja’, in H.A.R.Gibb et al. (ed.) Encyclopedia of Islam, vol. 5, Leiden: E.J. Brill 1960, pp. 25–27.

(58) Chhaya Goswami, The Call of the Sea, pp. 94-95.

(59) Allen, The Indian Merchant Community of Masqat, pp. 50-51; Chhaya Goswami, The Call of the Sea, p. 93.

(60) Asani, Ali, 'The Impact of Modernization on the Marriage Rites of the Khojah Ismailis of East Africa', Journal of Turkish Studies (Annemarie Schimmel Festschrift) 18: 1994, pp. 17–24.

(٦١) يرى بعض الباحثين أنه على الرغم من استقرار الخوجة أو اللواتية في مطرح بشكل دائم إلا أنهم ظلوا منفصلين عن جيرانهم العرب، على أن الرجال من جماعة الخوجة يتزوجون النساء العربيات العمانيات، ولكن المرأة الخوجية دائمًا تتزوج من داخل المجتمع الخوجي. للتفصيل راجع :

- J. C. Masselos, "The Khojas of Bombay" in Imtiaz Ahmad (ed.), Caste and social stratification among Muslims in India, Columbia, Mo., 1978, p. 101.

(62) Martineau, 1895, II, p. 106.

(63) Chhaya Goswami, The Call of the Sea, p. 93.

(64) Amiji, Hatim M., "Some Notes on religious Dissent in Nineteenth-Century East Africa", African Historical Studies, 4, No. 3, 1971, pp. 603-616.

(65) Simpson, 2001, p. 13.

(66) Simpson, 2001, p. 15.

(67) Chhaya Goswami, The Call of the Sea, pp. 89-90.

(68) Ibid, p. 80.

(69) Extract paragraphs 2 at 11, from letter to government from the Political Resident in the Persian Gulf No. 46, dated the 16th September 1861. MSA. PD, 1862, compilation No. 847, p. 19.

(70) Ruschenberger, 1838, I, 125; Martineau 1895, II, 105; Chhaya Goswami, The Call of the Sea, p. 93.

(71) Chhaya Goswami, The Call of the Sea, pp. 93-94.

(72) Chhaya Goswami, The Call of the Sea, pp. 94-95.

(73) Lieutenant Colonel Lewis Pelly, Remarks on the Port of Lingah the island of Kishim and the port of Bunder Abass and its neighbourhood, the Secretary [ed.], The Transactions of Bombay Geographic Society, Vol. No. XVII, Bombay Education Society's Press, Bhyculla, Bombay, January 1863 to December 1864, p. 247. Also see Lieutenant Colonel Lewis Pelly, acting Political Resident, Persian Gulf, to W. H. Havelock, officiating Secretary to Government, Bombay, 16th January 1864, Bushier, pp. 144-145.

(74) Campbell, 1993, p. 130.

(75) Anderson, J.N.D., ‘The Ismaili Khojas of East Africa’, Middle Eastern Studies 1(1), 1964, pp. 21–39.

(76) Hatim Amiji, "The Bohras of East Africa", Journal of Religion in Africa, Volume 7, Issue 1, 1975, pp. 27-61.

(77) John Kirk, acting Political Agent, Zanzibar, Administration Report of the Zanzibar Agency, 1870, MSA, PD, Vol. No. 1871, p. 16.

(78) Marguerite Ylvisaker, Lamu in the Nineteenth Century, African Research Studies Centre, Boston University, 1979, p. 23.

(79) Goswami, 2008, p. 13.

(80) Sheriff, 1995, p. 75.

(٨١) كان السواحليون يطلقون على التجار الهنود «وهندي». Marguerite Ylvisaker, op. cit., p. 23.

(82) Stanley, 1872, p. 9; Chhaya Goswami, The Call of the Sea, p. 94.

(83) J. Frederic Elton, Travels and Researches among The Lake and Mountains of Eastern and Central, Africa, John Murray, London, 1879, p. 50.

(84) John Kirk, acting Political Agent and Consul, Zanzibar, to W. Wedderburn, acting Secretary to the Government, Bombay, 54/167 of 1870, 18th July 1870, Administrative Report for 1869-1870, MSA, PD, Vol. 142 1871, p. 1.

(85) John Kirk, acting Political Agent and Consul General, to C. U. Aitchison, Secretary to the Government, Bombay, No. 54/167 of 1870, 18th July 1870, Administrative Report for 1869-1870, MSA, PD, Vol. No. 142 1871, pp. 1, 15.

(86) W. F. Prideaux, officiating Political Agent and Consul General, to C. U. Aitchison, Secretary to Government of India, 8th February 1875, Zanzibar, Administrative Report for 1873-74, MSA, PD, Vol. No. 294 1875, p. 2.

(87) John Kirk, acting Political Agent and Consul, Zanzibar, to W. Wedderburn, acting Secretary to the Government, Bombay, No. 54/167 of 1870, 18th July 1870, Administrative Report for 1869-1870, MSA, PD, Vol. No. 142 1871, pp. 15-17.

(88) J.F. Elton, 1st Assistant to Political Agent and Consul General, Zanzibar, to Captain Prideaux, acting Political Agent and Consul General, Zanzibar No. 1, 14 December 1873, Dar Es Salam, MSA, PD, Vol. No. 279 1874, pp. 56-57.

(89) J. F. Elton, 1st Assistant to Political Agent and Consul General, Zanzibar, to Captain Prideaux, acting Political Agent and Consul General, Zanzibar, No. 8, 8 January 1874, Isle of Chole, ibid, pp. 167-169.

(90) Ibid.

(٩١) تقع جزيرة كيلوا أو ما تسمى الآن كيلوا كيسيواني على الساحل الشرقي لإفريقيا وتتبع لجمهورية تنزانيا. ويفصل الجزيرة عن بقية الأرض التنزانية مضيق بحري عرضه ٣ كيلومترات. وقد هاجر العرب إلى مدينة كيلوا منذ العصر الأموي، واستوطنوها وتردّدوا عليها للتجارة بالبضائع بين شبه الجزيرة العربية وشرق إفريقيا، وخالطوا سكانها الأصليين وتعلّموا لغتهم، وقد أدى هذا إلى نشر اللغة العربية (التي تحوّرت لاحقًا إلى السواحلية) والدين الإسلامي بين أهل المدينة منذ قرون عديدة. ومع توافد العرب المستمر أخذت المدينة في الازدهار والتطور، وأصبحت من أعظم مرافئ شرق إفريقيا. وقامت فيها إمارات إسلامية، صارت خلالها هذه المنطقة من أكبر مراكز التجارة على الساحل الشرقي لإفريقيا، وقد اشتهرت آنذاك بتجارة الذهب والحديد من بلاد زيمبابوي، والعاج من بلاد تنزانيا المعروفة الآن، والنسيج والأحجار الكريمة والخزف والبهارات من آسيا. راجع جميل

عبدالله المصري: حاضر العالم الإسلامي وقضاياه المعاصرة، ط٢: دار أم القرى، المدينة المنورة، دون تاريخ، جـ٢، الباب السابع، ص٦٥٠-٦٥١.

(**92**) J. F. Elton, 1st Assistant to the Political Agent and Consul General, Zanzibar, to Captain Prideaux, acting Political Agent and Consul General, Zanzibar, No. 12, 17th February 1874, Kilwa Kiwanji, ibid, pp. 208-209.

(**٩٣**) تقع باجامويو في تنزانيا، وتم تأسيسها في نهاية القرن الثامن الميلادي. وكانت تعتبر واحدة من أهم الموانئ التجارية على طول الساحل الشرقي لإفريقيا. وتبعد هذه المدينة حوالي ٧٥ كيلًا من عاصمة دار السلام، وتطل على جزيرة زنجبار المعروفة.

(**94**) J. F. Elton, 1st Assistant to the Political Agent and Consul General, Zanzibar, to Catain Prideaux, acting Political Agent and Consul General, Zanzibar, No. 12, 18th March 1874, Zanzibar, ibid, pp. 244-245.

(**95**) Sir Bartle Frere, Memorandum, p. 200.

(**96**) See the letter of John Kirk, acting Political Agent and Consul, Zanzibar, to W. Wedderburn, acting Secretary to the Government, Bombay, 54/167 of 1870, 18th July 1870, Administrative Report for 1869-1870, MSA, PD, Vol. No. 142 1871, pp. 15-17.

(**97**) See the letter of W. F. Prideaux, officiating Political Agent and Consul General, to C. U. Aitchison, Secretary to Government of India, 8th February 1875, Zanzibar, Administrative Report for 1873-74, MSA, PD, Vol. No. 294 1875, p. 2.

(**98**) C. P. Rigby, Political Consul, Zanzibar, to the Secretary to Government, Bombay, Administrative Report of Zanzibar for 1859, MSA, PD, Vol. No. 158 1860, pp. 32-33.

(**99**) W. F. Prideaux, officiating Political Agent and Consul General, to C. U. Aitchison, Secretary to Government of India, 8th February 1875, Zanzibar, Administrative Report for 1873-74, MSA, PD, Vol. 294 1875, p. 22.

(**100**) Ibid.

(**101**) Rizvi & King, 1973, pp. 12-22.

(**102**) J. N. Hollister, The Shia of India, London, 1953, pp. 364-70.

(**103**) Ray, 1995, p. 537.

(**104**) Landen, 1967, p. 140; Allen, The Indian Merchant Community of Masqat, p. 50.

(**105**) Martineau, 1895, II, p. 105.

(**106**) Genevieve Bouchon and Denys Lombard, 'Indian Ocean in the Fifteenth Century,' Ashin Das Gupta and M. N. Pearson ed., India and the Indian Ocean 1500-1800, Oxford University Press, New Delhi, 1999, p. 56.

(**107**) Captain David Seton to the Governor of Bombay, 4th January 1803, Mandvi, SPD, Diary, 134 of 1803, p. 195.

(**108**) Memorandum by Sir Bartle Frere regarding Banians or Natives of India in East Africa Sir Bartle Frere to Earl Granville, Enclosure 51, 7th May 1873, Poona, MSA, PD Vol. V, 114, 873, p. 199.

(**109**) David Seton to Bombay Government, 23 March 1804, Mandvi, MSA, SPD Diary No. 156 of 1804, p. 1314.

(**110**) Lieutenant Leech, 'Memoirs on the Trade &c. of the Port of Mandvi in Kutch,' May 1837, S.N. Raikes, [ed.], Miscellaneous Information, Connected with the Province of Kutch, the Bombay Education Society's Press, Bombay, 1856, Selections from Bombay Government Records, MSA, No. XV, New Series, No. 3315, p. 214.

(**111**) Captain David Seton to the Governor of Bombay, 4 January 1803, Mandvi, SPD Diary No. 134 of 1803, p. 195.

(**112**) Wellsted, c.1837, pp. 21-23.

(**113**) Miles, 1919, p. 416.

(**114**) Chhaya Goswami, The Call of the Sea, pp. 88-117

(**115**) Allen, 1978, pp. 143-46.

(**116**) Chhaya Goswami, The Call of the Sea, p. 95.

(**117**) Justus Strandes, The Portuguese period in East Africa, translated from the Geraman by Jean. F. Wallaork, East African Literature Bureau, Nairobi, Dares Salam, Kampala, 1961, 62-63, p. 120.

(**118**) Benjamin N. 'Trading activities of Indians in East Africa [with special reference to slavery] in the nineteenth century', The Indian Economic and Social History Review, 35, 4, Sage Publications, New Delhi, October- December 1998, p. 411-412.

(**119**) Amir A. Mohammed, A Short History of Zanzibar, Al Khariya Press Ltd., Zanzibar, 1991, p. 3.

(**120**) Burton, 1860

(**121**) Amiji, Hatim, ‘Islam and Socio-Economic Development: A Case Study of a Muslim Minority in Tanzania’, Journal of the Institute of Muslim Minority Affairs 4(1–2), 1982, pp. 175–187.

(**123**) Goswami, 2007, pp. 921-935.

(**124**) Chhaya Goswami, The Call of the Sea, pp. 80-98-111-119.

(**125**) Lieutenant Leech, 'Memoirs on the Trade &c. of the Port of Mandvi in Kutch', May 1837, S.N. Raikes, [ed.], Miscellaneous Information, Connected with the Province of Kutch, the Bombay Education Society's Press, Bombay, 1856, Selections from Bombay Government Records, MSA, No. XV, New Series, No. 3315, p. 216.

(**126**) J. F. Elton, 1st Assistant to the Political Agent and Consul General, Zanzibar, to Catain Prideaux, acting Political Agent and Consul General, Zanzibar, No. 12, 18th March 1874, Zanzibar, ibid, pp. 244-245.

(**127**) R. L. Playfair, Consul and Political Agent, Zanzibar, Administrative Report of 1862-63, for the year ending 31 May 1864, MSA, PD, Vol. No. 54 1864, p. 6.

(**128**) Burton, 1860 II: pp. 413, 416; Postans, 1840, pp. 173-174.

(**129**) Chhaya Goswami, The Call of the Sea, p. 94.

(**130**) Martineau, 1895, II, p. 105.

(**131**) W. F. Prideaux, acting Political Agent, Zanzibar, MSA, PD, Vol. No. 279 1874, pp. 319-322.

(**132**) Henry M. Stanley, How I found Livingstone, Travels Adventures and Discoveries Central Africa, William Clares and sons, Stanford street and Charing Cross, London, 1872, p. 9.

(**133**) Iqbal Akhtar, The Khōjā of Tanzania: Discontinuities of a Postcolonial Religious Identity, Brill, Leiden 2016, pp. 14-27.

(**134**) A Modern History of the Ismailis: Continuity and Change in a Muslim Community, Edited by Farhad Daftry, I.B.Tauris & Co. Ltd, London 2011.

(**135**) Chhaya Goswami, "Khojas: A Historical Overview of their Settlements Overseas in Gujarat and the Sea", Edited by Lotika Vardhrajan, Darshak Itihas Needhi, Noida, 2012.

(**136**) Ibid.

(**137**) Ibid.